سر الرجل الأعمى و جريمة شرلوك هولمز

لأول مرة باللغة العربية

تأليف الروائية العالمية

أجاثا كريستى

ترجمـة

كمال أمين

الـكتاب: سر الرجل الأعمى و جريمة شرلوك هولمز

التـألـيف : أجاثا كريستى

ترجـمـــة : كمال أمين

الطبـعـــة: الأولى عام 2009

النـاشـــر: مكتبة مدبولى 6 ميدان طلعت حرب – القاهرة

تليفون : 25756421 – فاكس : 2575285

البريد الإلكترونى : www.madboulybooks.com

Info@madboulybooks.com

رقـم الإيـداع : 2008/00000

الترقيم الدولى : 977-208-000-0

الناشر

مكتبة مدبولى

2009

الفصل الأول

الرجل الذى لا يرى

كان مكتوبًا على اللوحة المعلقة على الباب :

« مكتب للأبحاث السرية - ماربل وبوارو »

.. لكن الرجل الكفيف البصر لم يستطع الاهتداء إلى الباب .. فقد أخبره عامل المصعد برقم الغرفة المقصودة فقط .. ولم يحاول أن يقدم إليه أى تسهيلات أخرى .

وبدأ الرجل الأعمى يضرب بعصاه الأرض إلى أن وصل إلى الباب الأول .. وراح يعد الأبواب واحدًا بعد الآخر وهو يسير بجوار الحائط فى الدهليز الطويل .. إلى أن ظهر خياله خلف زجاج نافذة المكتب .

عندئذ رفعت مارى براند - سكرتيرة المكتب - نظرها عن الآلة الكاتبة .. حيث كانت منهمكة فى كتابة رسالة مطولة .. ورأت الرجل الكفيف .. النحيل .. ذا النظارة الكبيرة السوداء .. والعصا الضخمة الطويلة .. وعلى إحدى يديه علبة مفتوحة عليها رباط عنق .. وأقلام رصاص .. وميداليات معدنية .

تأملته لحظة .. وهمت باستئناف عملها .. ولكنها سمعته يقول متسائلاً :

- هل مس ماربل موجودة ؟

فأجابته بقلة اكتراث :

- إنها مشغولة .

فأجابها على الفور :

- سوف أنتظر حتى تنتهى مما يشغلها .

فقالت مارى فى تبرم :

- لن يفيدك الانتظار .

فظهر الارتباك على الرجل الكفيف .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة .. ولم يلبث أن قال بعد لحظة تردد :

- الواقع أننى أريد مقابلة مس ماربل بخصوص عمل خاص .

ولم تجب السكرتيرة .. فعاد الكفيف يقول :

- إن معى المال اللازم لهذا العمل .

ففكرت مارى براند قليلاً .. ثم قالت له :

- حسنًا .. إن الأمر يختلف الآن .. يمكنك مقابلتها .. انتظر لحظة .

وسارت نحو باب مكتوب عليه :

« مس ماربل - خصوصى »

وقرعت مارى الباب بلطف .. ثم دخلت ..

« « «

كانت مس ماربل تجلس خلف مكتبها على كرسى متحرك فنظرت إلى مارى براند فى تساؤل .. ثم قالت :

- هل من جديد ؟

فقالت مارى :

- رجل أعمى .
- هل هو فى مقتبل العمر أم شيخ عجوز ؟
- لقد تخطى مرحلة الكهولة .. وهو - كما يبدو لى - بائع متجول يحمل علبة عليها أقلام .. وميداليات .. وربطات عنق .
- وماذا يريد ؟
- يريد مقابلتك بخصوص عمل .
- عمل ؟ أى عمل هذا ؟ وهل يستطيع أن ...
- نعم .. إن معه المال اللازم .
فابتسمت مس ماربل وقالت :
- ألم يذكر شيئًا عن طبيعة العمل الذى يريد أن يعهد إلينا به.
- كلا .. لم يقل شيئًا .
ضربت مس ماربل المكتب بيدها .. ونهضت واقفة وهى تقول بلهجة جادة :
- حسنًا .. مادام يحمل المال اللازم ويريد عملاً فماذا نبغى منه أكثر من ذلك ؟ دعيه يدخل .

« « «

وأسرعت مارى براند نحو الباب الرئيسى ففتحته .. وخاطبت الرجل الأعمى بلهجة مهذبة غير اللهجة السابقة قائلة:
- تفضل بالدخول .. إن مس ماربل فى انتظارك .
وتقدم الرجل وعصاه تدف على أرضية المكتب حتى أصبح على بعد سنتيمترات من مكتب مس ماربل فطلبت منه مارى براند التوقف .. فوقف مكانه .. وقال :
- صباح الخير يا مس ماربل .
فقالت مس ماربل بلطف :
- صباح الخير .. تفضل بالجلوس .
ثم التفتت نحو مارى وقالت وهى تشير إلى مقعد جانبى :
- أجلسيه على هذا المقعد .
ثم التفتت نحو الرجل وسألته :
- ما اسمك يا سيدى ؟
فقال بصوت جهورى :
- كوسلنج .. رودنى كوسلنج .
- حسنًا .. إننى مس ماربل .. وأعتقد أنك تعرف ذلك .. فقد سمعتك تذكر اسمى عندما دخلت .
- نعم .. نعم .. إننى أعرف اسمك تمام المعرفة .
وبعد فترة صمت قصيرو سألها :
- أين شريكك مستر هركيل بوارو ؟
- إنه فى مهمة رسمية بتكليف من الحكومتين الإنجليزية والفرنسية للكشف عن أسرار قضية جاسوسية خطيرة .. وهو سعيد للغاية بهذه المهمة لأنها بالنسبة إليه تعتبر أول قضية يشترك فيها مع البوليس السرى الشهير المستر شرلوك هولمز .
فهتف الرجل الكفيف فى عجب :

- مع شرلوك هولمز .. هذا بديع .. هذا بديع حقًا .
- نعم .. تخيل هذا : هركيل بوارو وشرلوك هولمز معًا فى قضية واحدة .
- ما أروع ذلك يا سيدتى .. إننى سعيد للغاية لسماع هذه الأنباء عنه .. وإن كنت أفتقده فى واقع الأمر .
فقالت مس ماربل فى دهشة :
- تقول إنك تفتقده .. إننى لم أعرف حتى الآن أنك تعرفه . كما أنك لم تزره خلال المدة التى قضاها فى المكتب .
فابتسم الرجل الكفيف وقال :
- أعتقد أننى أعرف جميع العاملين فى هذه المنطقة على مختلف بيئاتهم .. وطبيعة أعمالهم .
- ماذا تعنى ؟ زدنى إيضاحًا .
- إن مقرى يبعد بضع خطوات من هذا المكتب .. وهو يقع أمام نيابة المصرف .. عند ناصية الشارع .

الفصل الثانى

الفتاة التى اختفت

حدقت مس ماربل فى الرجل الكفيف بإمعان بعد سماعها كلماته .. ثم ضغطت على الجرس الكهربائى .. فقدمت على الأثر خادمة المكتب تحمل صينية فضية عليها كأسان من عصير الأناناس .

وساد السكون برهة قصيرة قطعته مس ماربل قائلة :

- إننى أعرف معظم سكان هذه المنطقة .. وأعتقد أننى رأيتك مرات عديدة تمر أمام هذه البناية .. ولكن الحق أقول لك إنه لم يخطر ببالى أن لك اتصالات مع أشخاص كثيرين من رجال الأعمال كما فهمت من حديثك .

وابتسم الرجل الكفيف ابتسامة باهتة لذلك الإطراء .. وقال وهو يمد يده ليتناول لفافة تبغ من مس ماربل :

- إننى أستطيع معرفة الناس من خطواتهم .

- أتعنى أنه يمكنك معرفة إنسان من بين جمهور غفير من المارة حين تسمع وقع أقدامه ؟

فقال كوسلنج ببساطة :

- طبعًا .. فالناس يتميزن فى سيرهم .. كما يتميزون فى أى شىء آخر .. ثقل خطواتهم مثلاً .. سرعتها .. طريقة رفع القدمين .. وجرهما على الأرض .. وغير ذلك كثير .. توجد عشرات الأشياء .. وبعد .. إننى أسمع أصواتهم فى مناسبات عديدة .. والأحوال تساعد كثيرًا على معرفة أصحابها .

فقالت مس ماربل :

- آه .. فهمت .. ومهما يكن من الأمر دعنا من هذا الحديث .. وقل لى أى خدمة يمكن أن أقدمها لك .. أو بمعنى أصح .. ماذا تريد منى على وجه التحقيق ؟

- أريدك أن تبحثى عن فتاة .

- من هى ؟

- لا أعرف اسمها .

- ما صفاتها ؟

- إنها تبلغ حوالى الخامسة والعشرين من عمرها .. نحيفة الجسم .. يبلغ وزنها مائة رطل تقريبًا .. ويصل طولها إلى خمسة أقدام وأربع بوصات .. وهى تعمل فى مكتب يفصلنا عنه ثلاث بنايات من هنا .. وهى تتقاضى راتبًا جيدًا .

فسألته مس ماربل :

- وكيف عرفت كل هذه المعلومات ؟

- أذناى تخبرانى بذلك .

- ولكن أذنيك لا تخبرانك أين تعمل ؟

- إنهما تفعلان ذلك بالتحديد .

وصمت فترة ثم قال :

- إن الناس يعرفون كثيرًا عن الأشياء التى تهمهم .

- لا بأس .. وكيف فقدت هذه الفتاة ؟

فقال كوسلنج بعد لحظة :

- لقد أصيبت هذه الفتاة فى حادث سيارة عند تقاطع شارعين .. وكان الوقت حوالى السادسة إلا الربع مساء يوم الجمعة الماضى .. ويبدو أن هذه الفتاة كانت مسرعة فى سيرها إذ إنها كانت - فيما أعتقد - على موعد .. وقد أسرعت لكى تبدل ثيابها .. إلا أن إصابتها كانت بسيطة جدًا .

- وكيف عرفت ؟

- سمعت رجلاً يسألها حين صرخت على أثر الاصطدام إن كان قد أصابها شىء فذكرت له أنها لا تحس بأى ألم .. ثم عرض عليها أن يأخذها إلى المستشفى ولكنها أكدت له أنه لا ضرورة لذلك .. وكل ما طلبته منه أن ينقلها بسيارته فرحب الرجل بذلك . وبعد أن جلست على مقعد السيارة أحست بألم فى رأسها وقالت إنه من الأفضل أن تعرض نفسها على طبيب فوافق الرجل فى الحال .. وسارا قاصدين أحد الأطباء .. ولكنها لم تعد يوم الجمعة ولا اليوم التالى وهو يوم السبت .. وها هو يوم الثلاثاء .. ولم تعد بعد .. لذلك جئتك لأطلب إليك البحث.

- وما سبب اهتمامك بها ؟

فابتسم كوسلنج الأعمى وأجاب :

- يمكنك أن تفسرى ذلك بدافع الشفقة والإحسان .. إننى أعيش على الصدقات والإحسان .. وفى اعتقادى أن هذه الفتاة بحاجة إلى المساعدة .

فحملقت مس ماربل فى وجه محدثها وقالت بحدة :

- أما أنا فلا أعيش على الصدقات .. ومهمتى فى البحث عن فتاتك تكلفك عشرة دولارات يوميًا على أن تدفع خمسة وعشرين دولارًا مقدمًا .

ففك الأعمى أزرار قميصه .. وأخرج محفظة صغيرة قدمها إلى مس ماربل فسألته :

- ما هذا ؟

- محفظة نقود .

ثم مد أصبعيه داخل المحفظة .. وأخرج منها رزمة من أوراق النقد أخذ منها واحدة قدمها إلى مس ماربل قائلاً :

- إعطينى الباقى .. ولا ضرورة أن تعطينى إيصالاً بذلك .

وحملقت مس ماربل فى ورقة النقد التى مدت يدها لتأخذها إذ كانت من فئة المائة دولار .

وسألته :

- هل معك ورقة مالية أقل قيمة ؟

فقال بغير اكتراث :

- كلا .. مع الأسف .

وفتحت مس ماربل درج مكتبها .. ودفعت له الباقى .. وقالت :

- على أى عنوان تريد أن أبعث إليك بالتقارير ؟

- أفضل أن تكون التقارير شفوية .. لأننى لا أستطيع القراءة كما ترين .. ويمكنك بالطبع مقابلتى قرب نيابة المصرف .. وحاولى التحدث معى دون أن يلاحظك أحد .. وتظاهرى بأنك تريدين شراء أى شىء منى .

- حسنًا .. فهمت غرضك .

- شكرًا يا مس ماربل .

وحمل الأعمى عصاه .. وانطلق يشق طريقه خارج المكتب .

الفصل الثالث

الرجل الذى يعرف كل شىء !

غادرت مس ماربل مكتبها على الفور لتبدأ مهمتها الجديدة.

وتوقفت قليلاً عند مكتب سكرتيرتهامارى براند وقالت لها :

- أنا ذاهبة للبحث عن فتاة مفقودة .

فقالت مارى :

- أتريدين القيام بالمهمة بنفسك ؟

- نعم .. إنها مهمة بسيطة .. وما علىَّ إلا الاتصال بإدارة المرور لمعرفة رقم السيارة .. واسم السائق .. وبعدها يسهل علىَّ معرفة المستشفى الذى نقلت إليه الفتاة .. ولن يتعدى ذلك غير السؤال عن صحتها والاطمئنان عليها .. ونقل الخبر إلى العاشق الكفيف .

فسألتها مارى :

- هل يريد الأعمى خبرًا عنها ؟

- نعم .. وبكل ترقب واهتمام .

- وما سر اهتمامه ؟

فقالت مس ماربل :

- يريد أن يعرف مكان وجودها ليقدم لها باقة من الزهور .. لأنها كانت السبب فى جلب السعادة له .. وإدخال السرور إلى نفسه .. فضلاً عن أنه يجب أن يسمع وقع أقدامها الخفيفة على الأرض كما اعتاد على ذلك دائمًا .

فسألتها مارى :

- وهل تصدقين روايته هذه ؟

- ربما لا أصدق .. ولكنى أصدق الخمسة والعشرين دولارًا التى دفعها مقدمًا .

- أعتقد أن فى الأمر سرًا .

- لا يهمنى ذلك السر على الإطلاق .. إنى ذاهبة .

« « «

وتوجهت مس ماربل إلى « إدارة المرور » وسألت عن حادث وقع يوم الجمعة الماضى ما بين الساعة السادسة والسابعة مساءً .. ولكنها لم تظفر بجواب .. فقد أفادها الموظف المسئول عن تلك الفترة أن الحادث غير مسجل .. ولم يرد أى تقرير عنه .. وإن المكان الذى وقع فيه الحادث كان خاليًا من رجال شرطة المرور .. لأن الشرطى المنوط به مراقبة السيارات فى تلك المنطقة يغادر المكان حوالى الخامسة والربع مساءً إلى منطقة تبعد مائة متر .. ومعروفة بازدحام السيارات فيها فى ذلك الوقت .

وسألته مس ماربل :

- ما العمل إذن ؟

- اذهبى إلى المستشفى واسألى إن كانت الإدارة قد استقبلت فتاة لإسعافها يوم الحادث .

ثم سألها :

- هل تعرفين اسمها ؟

- كلا .. مع الأسف .

- أوه .. حاولى على كل حال .

وأمسكت مس ماربل بسماعة التليفون .. وتحدثت طويلاً إلى إدارة المستشفى .. ولكنها لم تصل إلى نتيجة فعادت وهى مستغرقة فى التفكير .

« « «

كان اليوم شديد الحرارة .. وكان كوسلنج يقف تحت مظلة بالقرب من نيابة المصرف يحمل على يديه علبته المعهودة الممتلئة بربطات العنق .. وأقلام الرصاص .

وكلما سمع وقع أقدام تقترب منه رفع صوته ينادى على بضاعته معددًا مزايا رباطات العنق ليجلب الزبائن .

وفجأة أصاخ السمع جيدًا ..

لقد سمع وقع أقدام يعرف صاحبتها جيدًا ..

إنها مس ماربل .

وعندما اقتربت منه قال لها :

- سيدتى .. هذه رباطات عنق جيدة تصلح للهدايا .. كما أنها معتدلة السعر .

ولما تأكد أن مس ماربل بدأت تفحص بضاعته همس قائلاً ..

- هل من جديد ؟

- لم أتوصل إلى شىء .

وساد الصمت برهة .

وشعرت مس ماربل بحرج الموقف إذ كان الأعمى ينتظر المزيد من الكلام ..

قال بعد قليل :

- إن المعلومات التى توصلت إليها عن الفتاة ليست كافية .. أريد معلومات وافية حتى أستطيع الوصول إلى نتيجة إيجابية - لقد ذهبت إلى « إدارة المرور » .. واتصلت بالمستشفى .. ولكن بغير جدوى .

فقال الأعمى :

- لقد فعلت ذلك قبل أن أحضر إليك .

- ياللشيطان .. ولماذا تخبرنى أنك فعلت كل هذا ؟

فأجابها فى بطء وهدوء :

- وهل تعتقدين أنى دفعت لك ذلك المبلغ لمجرد سؤال ؟!

« « «

وعندما وصلت مس ماربل إلى مكتبها سألتها سكرتيرتها فى اهتمام :

- هل نجحت فى مهمتك ؟

فهزت رأسها نفيًا دون أن تنطق بكلمة واحدة .. ودخلت إلى حجرتها .. وأغلقت الباب وراءها بشدة .

وجلست خلف مكتبها تفكر فيما يجب أن تفعله .

كان لحديث الأعمى معها أثر عميق فى نفسها .

وكانت نتيجة تفكيرها نشر إعلان فى الصحف اليومية .. فحملت القلم وكتبت على قصاصة من الورق .

« على كل من شاهد حادث الاصطدام الذى وقع عند ملتقى شارع كرست ليك بشارع برودوى حوالى الساعة السادسة والربع من مساء الجمعة الماضى أن يتصل بمس ماربل - بناية دركسيل - جائزة قدرها خمسة دولارات لكل من يرشد إلى رقم السيارة التى قامت بالحادث » .

وراجعت مس ماربل ما كتبت فحذفت الكلمات التى يمكن الاستغناء عنها توفيرًا لأجر الإعلان .. ثم عدلت الخمسة دولارات إلى ثلاثة فقط !!

ثم غيرت رأيها فعدلت المكافأة إلى دولارين .. وحذفت أكبر عدد ممكن من الكلمات التى أمكن الاستغناء عنها حتى أصبح الإعلان أشبه برسالة برقية !!

وقالت تحدث نفسها بعد أن انتهت من تعديل الإعلان :

- إن دولارين كافيان لمن يتقدم بشهادته !!

« « «

وبعد ظهر الأربعاء الذى تلا ذلك دخلت مارى براند السكرتيرة إلى مكتب مس ماربل وقالت :

- يوجد رجل غريب يرغب فى مقابلتك .

- ماذا يريد ؟

- يقول إنه اطلع على الإعلان بشأن حادث السيارة .. ولديه بعض المعلومات .

- أدخليه بحق السماء .

ودخل الرجل .

وأشارت إليه مس ماربل ليجلس على الكرسى القريب من النافذة .. ثم سألته عن شخصيته فتجاهل الرجل السؤال . وعبس فى وجهها كأنه يوبخها على سؤالها .

« « «

كان الرجل فى منتصف العقد الرابع من عمره .. طويل القامة .. متوسط البنية .. ذا عينين تشعان بريقًا .

وسألته مس ماربل بعد أن أمعنت النظر إليه :

- ماذا تريد أن تقول ؟

- كل شىء عن الحادث بالتفصيل .. ولكن قبل أن أبدأ الحديث عليك أن تفتحى « دفتر شيكاتك » !!

وذهلت مس ماربل لذلك .. ونظرت إليه فى دهشة واستغراب .. فأدرك معنى نظرتها وقال :

- نعم .. إنى لا أقدم مثل هذه المعلومات المهمة مقابل دولارين فقط !!

وأخرج دفترًا صغيرًا من جيبه وقال :

- فى هذا الدفتر أكثر من عشرين حادثة شهدتها بنفسى . وكل أملى أن أحصل على مبالغ باهظة حين أطلب للشهادة .. لأن المعلومات التى أعرفها لا تزال خافية على رجال الأمن .. وقد سبق لى أن قدمت رقم سيارة لأحد المحامين .. ووعدنى بدفع مكافأة لى .. إلا أنه تظاهر بعدم معرفتى بعد أن كسب الدعوى .. لذلك فأنا حريص من هذه الناحية .. ولن أقوم بتبليغ أى أخبار إلا إذا استلمت ثمنها مقدمًا .

« « «

وأخذت مس ماربل تشرح له أن القضية تتعلق برجل أعمى دفعته العاطفة والحب البرىء للبحث عن هذه الفتاة المفقودة .. وقد شاركته هى العاطفة .. وتقاضت منه ربع الأتعاب المعتادة فقط .

ولكن الرجل لم يهتم بكلام مس ماربل .. بل قال لها :
- إن أمى لم تنجب أبناء مجانين .. وأنا أقتنع بهذا القول . فصاحت به مس ماربل :
- أخرج من هنا .. لا أريد منك أية معلومات ..
فبدأ يخفف من حدتها قائلاً :
- سيدتى .. إننى ..
- اخرج .
ولم يستطع الرجل أن يضيف كلمة واحدة .. فنهض من مكانه فجأة .. واتجه نحو الباب خارجًا .

« « «

وذهبت مس ماربل فى الحال إلى سكرتيرتها مارى براند وقالت لها :
- مارى .. اتبعى هذا الرجل .. واعرفى المكان الذى يقصده .. وإن كانت لديه سيارة فسجلى رقمها .. هيا أسرعى .. لا تنزلى بنفس المصعد الذى سينزل به .

« « «

وجلست مس ماربل تفكر فى كل ما حدث .. ثم قالت لنفسها بعد أن تذكرت شريكها هركيل بوارو :
- لو كان بوارو هنا لقام بالمهمة .. ووصل إلى النتائج دون أية متاعب .

الفصل الرابع

اعترافات الفتاة المفقودة

عادت مارى براند بعد نصف ساعة .. فبادرتها مس ماربل قائلة بلهفة :

- هل لحقت به ؟

فهزت مارى رأسها نفيًا .

وبدا الغضب والاضطراب على مس ماربل وهى تقول :

- لماذا ؟

فقالت مارى براند :

- لأننى لست هركيل بوارو .. ولأننى لست شرطية سرية .. إننى مجرد موظفة على الآلة الكاتبة .. فضلاً عن أن تصرف الرجل كان معقولاً طول الطريق كما ظهر لى .

- ماذا فعل ؟

- لقد ظل يمشى حتى وصل ناحية الشارع التى يقف عندها الرجل الأعمى كوسلنج .. ورأيته يضع خمسة دولارات فى الطبق الذى يحمله الأعمى .. وكان يعدها واحدًا واحدًا .. وسمعت الأعمى يشكره خمس مرات قائلاً :

- أشكرك أيها الأخ .

وسألت مس ماربل باهتمام :

- ثم ماذا ؟

- رأيته يسرع فى خطاه .. فتبعته بسرعة أيضًا حتى وصلنا نقطة تقاطع شارعين حيث ازدحم المارة .. ثم تغيرت شارة المرور .. وهناك ضللت طريقى .

» » »

كانت الساعة الخامسة إلا عشر دقفائق من مساء اليوم التالى حين دخلت مارى براند مكتب مس ماربل وقالت لها :

- لقد عاد مرة أخرى .

- من هو ؟

- الرجل نفسه الذى يريد أن يقدم معلومات عن الحادث .

وأطرقت مس ماربل برأسها مفكرة .. وراحت تلعن هذا الرجل المخادع .. وكانت ترغب فى أن تطرده مرة أخرى احتقارًا لشأنه .. ولكنها سيطرت على نفسها .. ونظرت إلى مارى قائلة :

- لا بأس .. دعيه يدخل .

» » »

ودخل الرجل .. وحيّا مس ماربل .. ثم اتخذ مكانه .. وقال على الفور :

- كنت أفكر طيلة الوقت .. وقد درست الأمر بإمعان .. والواقع أن الفتاة لا تعرف الشخص الذى صدمها .. وأعتقد أننى الوحيد الذى يعرف ذلك .. وقد وددت أننى لم أجْنِ فائدة من إبقاء هذه المعلومات مكتوبة فى دفتر ملاحظاتى .. كما أنى لا أطمع فى الربح من وراء مصارحتك بهذه المعلومات .. وقد تأكدت أنك صادقة فى أقوالك لى .. لذلك يمكنك أن تذهبى إليها .. وتتحدثى معها .. وكل ما أريده هو خمسة وعشرون فى المائة .

- خمسة وعشرون فى المائة من ماذا ؟!

- من المال الذى حصلت عليه الفتاة من الشخص الذى كان يقود السيارة .
فقالت مس ماربل :
- سبق أن قلت لك إنى لا أطمع فى شىء سوى معرفة مكان الفتاة لأدل الأعمى إليه .. ولا يهمنى كل هذا .
- لقد فهمت هذا منك .. ولكنى أقولها صراحة : إذا كانت هذه الفتاة تريد معرفة من صدمها فإن ذلك سوف يكلفها مبلغًا كبيرًا .. وسأكلف محاميًا للقيام بهذه المهمة .
فمطت مس ماربل شفتيها إلى الأمام .. وهزت رأسها .. بينما استرسل الرجل يقول :
- أرجو أن توافقى على رأيى .
فسألته وهى ترمقه بنظرة حادة :
- ما اسمك ؟
- بولمان .. جارى بولمان .
وأردف يقول :
- إن الفتاة تدعى جوزفين ديل .. وهى تقيم فى «بناية بونت» بشارع ساوث فيجوس .. وهى لم تذهب إلى المستشفى مطلقًا .
- وكيف ذلك ؟ لقد فهمت أن الرجل نقلها فى سيارته بغية إيصالها إلى المستشفى .
- هذا صحيح .. ولكنه لم يأخذها إلى المستشفى .. إن الحادث كما تعلمين وقع مساء الجمعة .. وعندما أفاقت جوزفين من نومها صباح السبت شعرت أن أعضاءها متصلبة .. ولم تقو على الذهاب إلى العمل .. فاتصلت تليفونيًا بمقر عملها .. وطلبت تصريحًا بالبقاء فى البيت ذلك اليوم .. وظلت فى فراشها طيلة يومى السبت والأحد .
وتابع الرجل يقول وهو يحاول النهوض والابتسامة على شفتيه :
- مهما يكن الأمر يا مس ماربل فإنك لا تستطيعين الاستمرار فى البحث عن الفتاة دون مساعدتى .. وأنا لا أريد أجرًا عن هذه المعلومات التى قدمتها لك .. ولكنى أؤكد أن هناك معلومات أخرى ذات أهمية كبيرة .. ويمكنك أن تتصلى بى عندما تحتاجين إلى أى من هذه المعلومات التى تتطلب أجرًا .. ليلة سعيدة يا سيدتى .. وإلى اللقاء .
وغادر الرجل المكتب .

» » »

وانصرفت مس ماربل من مكتبها بعد لحظات من خروج الرجل .. ثم تبعتها سكرتيرتها حيث حان وقت انتهاء العمل اليومى .
وتوجهت مس ماربل على الفور إلى «بناية بونت» .
وكانت هذه البناية الضخمة مكونة من عدة منازل ..
وراحت مس ماربل تقرأ الأسماء المعلقة على الأبواب .. إلى أن اهتدت إلى اسم « جوزفين ديل » .
وضغطت بإصبعها على الجرس المعلق قرب الباب .. فأطلت عليها حسناء فى الخامسة والعشرين من عمرها .. شقراء الشعر .. ذات عينين ضاحكتين .. وفم جميل التكوين كأنه خلق للابتسام فقط .
وكانت تلك الحسناء هى جوزفين نفسها .. وقد ردت تحية مس ماربل .. ودعتها إلى الدخول .

« « «

قالت لها مس ماربل بعد أن جلسا معًا :

- جئت إليك بخصوص الحادث الذى وقع لك .

فاستبشرت جوزفين خيرًا .. واعتقدت أن هذه السيدة مندوبة من إحدى شركات التأمين .. ولكن أملها خاب حين قالت لها مس ماربل إنها ليست كذلك .

وسألتها جوزفين :

- هل لى أن أعرف من أنت ؟

فأجابتها مس ماربل فى هدوء :

- إننى مندوبة عن مكتب للأبحاث السرية .. فهل لك أن تقصى على كيف وقع الحادث ؟

- نعم .. عندما صدمنى الرجل لم أشعر أننى أصبت بأى ضرر .. فلم أصب بأى كسر فى جسمى .. كان الحادث مجرد صدمة .. وكان الرجل الذى صدمنى لطيفًا جدًا .. فقد رأيته يترجل من سيارته .. ويطوقنى بذراعيه .. ويجلسنى على مقعد السيارة .. وقد أصر على نقلى إلى المستشفى . وكدت أضحك للفكرة لأننى لم أشعر بأننى فى حاجة إلى ذلك .. ولكنى وافقت أخيرًا .

وفى الطريق بدأنا نتحدث .. وقد أقنعته أنه لا ضرورة للذهاب إلى المستشفى .. وأننى لن أتقدم بأى طلب للتعويض .. عند ذلك أصر على نقلى إلى البيت .

وأومأت مس ماربل برأسها لتشجيعها على سرد التفاصيل .

واستمرت جوزفين تقول :

- إننى لم أحصل على رقم السيارة .. ولم أعرف اسم الرجل .

- إذا كنت تريدين معرفة اسم الرجل فمن السهل أن نحصل عليه .

- أحقًا تقولين .. ولكن ما مدى علاقتك بالموضوع ؟

فأخرجت مس ماربل بطاقة باسمها .. وقدمتها لها لتتأكد جوزفين من أن محدثتها مندوبة عن مكتب للأبحاث السرية .

وابتسمت جوزفين حين قرأت البطاقة وقالت :

- إنك مشهورة يا مس ماربل .. ولكن ما الذى دفعك للاهتمام بأمرى ؟

- لأن شخصًا كلفنى بذلك مقابل أجر خاص .

- من هو ؟

وابتسمت مس ماربل وقالت :

- أعتقد أنك لن تستطيعى أن تخمنى من هو .. ولو بعد مائة عام .. إنه رجل يهتم بك .. وقد علم بالحادث ساعة وقوعه .. وعلم أنك لم تعودى .

- ولكن لماذا لم يتصل بى تليفونيًا ؟

- لم يكن يعرف مكان وجودك .. إنه رجل عجوز .. رجل يظهر أنه ..

فقاطعتها جوزفين قائلة :

- أراهن أنه الرجل الأعمى .

هتفت مس ماربل فى دهشة بالغة إلى جوزفين .. ثم قالت :

- كيف عرفت ؟

- أنا لم أعرف .. ولكنك كنت تؤكدين لى أننى لن أستطيع أن أخمن من هو هذا الرجل .. فقدرت أنه شخصية غير عادية .. فمن يكون غير ذلك الأعمى ؟ مهما يكن من الأمر أرجو أن تبلغيه تحياتى وحبى .. وأخبريه أننى شاكرة له كل هذا الاهتمام .

فقالت مس ماربل :

- أعتقد أنه مولع بك .. وأن حبه متطرف كما سمعت من كلامه .

- أخبريه أننى فى حالة صحية جيدة .. وبلغيه حبى وتقديرى .

- ما رأيك فى أن أسعى للحصول على تعويض لك ؟

- لم يلحق بى أى ضرر كما ترين .. سوى أننى تعطلت ثلاثة أيام أو أربعة .. وقد انتهى عملى بانتهاء صاحبه .

- تعنين أن الرجل الذى كنت تعملين عنده قد توفى ؟

- نعم .. إنه «هارلو ملبروز» .. وقد توفى صباح أمس .

« « «

وتأهبت مس ماربل لمغادرة المكان بعد أن أكدت لجوزفين أن لها عودة للموضوع لبحث كل التفاصيل والاحتمالات .

وعندما وضعت يدها على مقبض الباب .. وفتحته وجدت نفسها وجهًا لوجه أمام رجل فى حوالى الستين من عمره تقريبًا .. ذى عينين زرقاوين .. قال وهو يبتسم فى لطف :

- إننى كريستوفر ملبروز .. أريد أن أتحدث إلى جوزفين ديل عن ابن عمى هارلو مخدومها السابق .. هل أنت جوزفين ديل ؟

فقالت مس ماربل :

- كلا .. لست أنا جوزفين ديل .

وتنحت قليلاً .. وأشارت إلى الآنسة ديل التى كانت لا تزال جالسة فى مقعدها .

وقالت جوزفين :

- تفضل بالدخول .. آسفة لأننى لا أستطيع النهوض .. فقد نصحنى الطبيب بعدم الحركة الكثيرة .

ودخل الرجل .. وصافح جوزفين وهو يتساءل :

- هل أصبت فى حادث ؟

- نعم .. إنها إصابة طفيفة .. مجرد صدمة .

وفى هذه اللحظة غادرت مس ماربل شقة جوزفين ديل ..

الفصل الخامس

قضية سرقة لا يمكن إثباتها

في اليوم التالى توجهت مس ماربل إلى مكان الرجل الأعمى كوسلنج .. ولما أصبحت على بعد بضعة أمتار منه حاولت خداعه بأن عمدت أن تغير خطواتها .. ولكنها فوجئت بالأعمى يقول لها عندما أصبحت قريبة منه :

- هاللو .. مس ماربل .

فضحكت رغمًا عنها .. وقالت له :

- كنت أعتقد أن فى مقدورى خداعك .

- لقد شعرت أنك حاولت ذلك .. ولكنك لا تستطيعين .. لأن الملامح الأساسية لا يمكن تغييرها .. ما أخبارك ؟

- لقد عرفت مكانها .

- هل هى على ما يرام ؟

- نعم .. وتهديك حبها .. وتقديرها .. وهى شاكرة لك اهتمامك .

- هل أنت متأكدة أن حالتها ليست خطيرة ؟

- إنها بخير .. وإليك عنوانها .. إنها كانت تعمل فى خدمة كاتب له نظرية خاصة فى التاريخ .. وكان عازمًا على إخراج نظريته هذه فى كتاب قبل وفاته .

- من هو هذا الكاتب ؟

- رجل يدعى ملبروز .

- إننى أعرف مكتبه تمامًا .

وصمت برهة كأنه يتذكر شيئًا . ثم قال :

- أعتقد أننى عرفت الرجل .. ولكن كيف حدثت الوفاة ؟ إنه لم يكن مريضًا .

- كانت وفاته فجائية .

- حسنًا .. أرجو أن تتصلى بى كلما مررت من هذا المكان .. كذلك أخبرينى عن شريكك مستر هركيل بوارو إذا وصلتك أخبار جديدة عنه .. إلى اللقاء .

« « «

وحين وصلت مس ماربل إلى الممر المؤدى إلى مكتبها سمعت صوت الآلة الكاتبة فى حجرة سكرتيرتها .. فلما دخلت وهمت بإلقاء التحية على مارى براند .. وقع بصرها على ذلك الرجل الطويل القامة الذى طلب منها أجرًا نظير معلوماته .

كان جالسًا على مقعد قريب من مارى براند .. وفى فمه لفافة تبغ .. وقد طوى ساقًا على ساق .

والتفت الرجل إلى مس ماربل وسألها :

- كيف كانت مساعيك ؟

- ماذا تعنى ؟

- أنت تعرفين ماذا أعنى .. هل انتهت مهمتك مع شركة التأمين ؟

- ليس هذا ما ذهبت من أجله .. ثم إنه لا يوجد علاقة لى بشركة التأمين .

أما الآن فإنى مشغولة للغاية .. أرجو أن تخبرنى كيف يمكننى الاتصال بك .. وسوف أفعل ذلك عندما أجد متسعًا من الوقت .

فقال الرجل بعدم اكتراث وهو يتأهب للخروج :
- ليس فى مقدورك أن تفعلى شيئًا .
وغادر المكتب .

» » »

قالت مس ماربل بعد خروج الرجل :
- اللعنة عليه .. ليتنى صفعته قبل أن يذهب .
فقالت مارى براند :
- ولماذا لم تحققى رغبتك فى صفعه .. ثم لماذا تجرين على نفسك هذه المتاعب ؟ إن كنت ترغبين فى التعاون معه فكلفيه بالمهمة .. إنه رجل يريد أجرًا على المعلومات التى يعرفها .. هذا كل ما فى الأمر .

» » »

ودخلت مس ماربل .. وأغلقت الباب عليها لتطالع صحف الصباح وما هى إلا دقائق حتى رن جرس التليفون على مكتب السكرتيرة .. فحولت المكالمة إلى مس ماربل وقالت :
- رجل يدعى كريستوفر ملبروز يريد مقابلتك .. وقد ذكر أنه تحدث إليك قبل هذا .
- نعم .. أخبريه أن يحضر .
وحضر ملبروز بعد قليل .

» » »

وقال عند دخوله مكتب مس ماربل :
- أرجو ألا يكون فى وجودى هنا أى إزعاج لك .
- كلا بالتأكيد .. أى خدمة يمكن أن أقدمها لك .
- فهمت من جوزفين أنك مس ماربل الشهيرة .
- نعم .. إننى أدير مكتبًا للأبحاث السرية بالاشتراك مع البوليس السرى الشهير هركيل بوارو .. هل من خدمة ؟
- أريد أن أكلفك بمهمة .. ولكنى لا أدرى قيمة أجرك .
- إن ذلك يتوقف على نوع العمل .
- سأخبرك بكل شىء بالتفصيل منذ البداية .. إن ابن عمى مارلو كان يرغب أن يعيش حياته الخاصة بطريقته .. وقد ماتت زوجته منذ عشر سنوات .. ولم ينجب أطفالاً .
- هل أنت قريبه الوحيد ؟
- نعم .
- وماذا عن الجنازة ؟
- لقد أرجأت الجنازة حتى غد لأننى لم أستلم برقية الوفاة إلا الإثنين .
- على أى حال إننى لا أعرف شيئًا عن الجنازات فماذا تريدنى أن أفعل ؟
- إن ابن عمى يملك رصيدًا كبيرًا من المال .. وهو يحتفظ بمعظم هذا الرصيد فى حزام من القماش يلفه حول جسمه .. وعندما دعيت لاستلام ثيابه لم أجد سوى ورقة واحدة فئة مائة دولار .. وورقة أخرى من فئة عشرين دولارًا وثلاث ورقات من فئة دولار واحد .
- ألم تقل شيئًا عندما رأيت ذلك ؟

- على الإنسان ألا يقول شيئًا إذا لم يكن متأكدًا من صحة ما سيقوله .. أو بالأحرى يجب أن يكون مستندًا إلى أسس ثابتة فيما سيقوله .. مع العلم أننى واثق كل الثقة من أن النقود كانت معه .. ولكنى لا أستطيع أن أقول شيئًا .

فقالت مس ماربل :

- وماذا عن جوزفين .. هل تعرف شيئًا عن المال ؟

- نعم .. إنها تعرف ذلك حق المعرفة .. فقد مضى عليها أكثر من سنة فى خدمته .

» » »

وصمت لحظة .. ثم استطرد يقول :

- لقد تسلمت رسالة من ابن عمى وأنا فى بلدة «فيرمونت» وهى آخر رسالة وصلتنى منه يقول فيها إنه يحتفظ بخمسة آلاف دولار معه لتكون جاهزة للدفع .. حيث إننى كنت أقوم بشراء صفقات من الكتب النادرة على حسابه .. هذا عدا عشرة آلاف أخرى كانت معه .

- هل تحتفظ بهذه الرسالة ؟

- نعم .. إنى أحتفظ برسائل ابن عمى بكل حرص وعناية .. ذلك أننا آخر من بقى على قيد الحياة من العائلة .. والواقع أنى كنت أحبه كثيرًا وأشعر نحوه بعطف شديد .

فسألته مس ماربل :

- من كان يقوم على خدمة ابن عمك ؟

- سيدة تدعى نانى كراننج .. فى الأربعين من عمرها .. ولها ابنة تدعى إيفا تزوجت من بول هانبرى .. وكان بول يعمل سائق سيارة وقد اعتاد أن ينقل ابن عمى فى سيارته حين يريد الذهاب إلى مكان ما .. ومما يجدر ذكره أن الجميع كانوا يقيمون فى الشقة التى يقيم فيها ابن عمى .. وكانت إيفا تساعد أمها فى أعمال البيت .. وكانوا جميعًا يتقاضون أجورًا باهظة .

- وهل سألتهم عن المال الذى كان مع ابن عمك ؟

- كلا .. وقد أوضحت لك رأيى فى ذلك .

- هل تريد منى أن أقوم بتحرياتى الخاصة ؟

- لا مانع عندى .

- أعتقد أن لدينا الإثبات الكافى .. وسوف أبدأ بالسيدة نانى كراننج .. وبالمناسبة .. من يملك البيت الذى كان يقيم فيه ابن عمك ؟

- إنه يخص السيدة نانى كراننج وعائلتها .

الفصل السادس

رسالة من هركيل بوارو

توجهت مس ماربل إلى منزل نانى كراننج . وعندما ضغطت جرس الباب أطلت عليها نانى بنفسها .. ودعتها للدخول .. وقدمت لها ابنتها إيفا .. وصهرها بول هانبرى .

« « «

كانت إيفا جذابة فى حديثها .. ومظهرها .. رقيقة .. نحيفة القوام .. ذات عينين سوداوين واسعتين .

وحضر كريستوفر ملبروز على الأثر .

وبعد أن استقر بهم الجلوس قالت مس ماربل :

- إن مجيئنا ليس بقصد الزيارة .. بل بشأن عمل نريد إنجازه .. فإن موكلى مستر كريستوفر ملبروز يريد إيضاحات لبعض الأمور الغامضة .

فقالت السيدة كراننج .

- تقولين موكلك .. هل أنت محامية ؟

- لا .. لست محامية .. بل مديرة لمكتب أبحاث سرية .

وهنا تكلم بول هانبرى وقال :

- وما دخل مكتب للأبحاث السرية معنا ؟

- لأن خمسة عشرة ألف دولار مفقودة .

فهتفت إيفا :

- خمسة عشر ألف دولار !

- نعم .. كانت فى حوزة هارلو ملبروز قبل وفاته ؟

وهل تتهمينا بسرقتها ؟

- إنى لا أتهم أحدًا ..

وصمتت مس ماربل برهة ثم استطردت قائلة :

- .... حتى الآن .

فقال بول :

- من ذا الذى يقول إن هذا المبلغ كان مع المستر هارلو ؟

فقال كريستوفر ملبروز :

- أنا أقول ذلك .. ولدى ما يثبت قولى .

وبعد لحظة صمت قالت السيدة كراننج :

- أنا متأكدة أنه لم يكن هناك أى مبلغ من المال فى حزامه غير المبلغ الذى استلمه ابن عمه .. ربما أخفى تلك النقود فى مكان آخر .

فقالت مس ماربل :

- لا حاجة لأن نضيع وقتنا فى الجدل .. هيا بنا نفتش الغرف التى اعتاد الجلوس فيها .

واتفق الجميع على أن يبدأوا بتفتيش المكتبة .

وقال بول هانبرى وهو يتطلع إلى مساعدته :

- لقد تذكرت موعدًا .. يجب أن أتصل بأحد الأصدقاء تليفونيًا .

وذهب إلى جهاز التليفون فى غرفة جانبية .. بينما توجه الباقون إلى غرفة المكتبة التى كانت مكتظة بالرفوف الحافلة بالكتب العديدة المختلفة وقد كساها الغبار لأن هارلو ملبروز كان قد أوصى ألا يدخلها أحد .

» » »

وشرع كريستوفر ملبروز ومس ماربل بالتفتيش .. وكانا يقلبان صفحات الكتب واحدًا واحدًا .. وكانت مس ماربل تختلس النظر من آن لآخر نحو إيفا ووالدتها اللتين كانتا تقفان بعيدًا عنهما فى أحد أركان الغرفة .. وراحت تقترب منهما دون أن تلفت انتباههما وهى تتظاهر أنها منهمكة فى تفتيش المكتبة .

وتناهى إلى سمعها صوت إيفا وهى تقول لأمها :

- ما الذى يحملك على الاعتقاد بأن بول أخذ هذا المبلغ ؟

فقالت السيدة كرانج :

- لم أفكر فى هذا مطلقًا .

- لقد سمعتك تقولين ذلك ..

- بل قلت إذا كان هذا المبلغ مع المستر هارلو ملبروز .. وفقد منه .. فلا أحد غيره يمكن أن يستولى عليه .

وفى هذه اللحظة بالذات كان بول هانبرى قد وصل الغرفة .. وسمع الكلمتين الأخيرتين .. فقال متسائلاً :

- عم تتحدثان ؟ .. هل أنا المقصود بالحديث ؟

فتجاهلت الاثنتان سؤاله .. واتجه الجميع بأنظارهم نحو مس ماربل التى هتفت قائلة .

- لقد وجدت شيئًا مهمًا .. هذا هو ظرف مختوم أعتقد أن فيه شيئًا .

» » »

واقترب كريستوفر ملبروز منها .. وفضت مس ماربل ختم الظرف فإذا بها تجد وصيته بخط يده .

وهنا تكلم بول هانبرى قائلاً :

- نعم .. أعتقد أنها الوصية .. فقد استدعانى هارلو ذات يوم مع الآنسة جوزفين ديل سكرتيرته .. وطلب منا التوقيع كشاهدين على هذه الوصية .. وصاحت به زوجته إيفا :

- لماذا لم تخبرنى عن تلك الوصية ؟

واشتد الجدل بينهما حتى قطعته مس ماربل بصوتها حين بدأت تقرأ الوصية التى كانت تقول :

- M أنا المدعو هارلو ملبروز البالغ من العمر الثامنة والستين والمتمتع بكامل قواى العقلية والصحية أوصى بما يلى :

جميع ممتلكاتى المنقولة بعد موتى ملك لقريب وحيد لى يدعى كريستوفر ملبروز وهو ابن عم لى . L

وتوقفت مس ماربل عن القراءة .. ونقلت بصرها بين الحاضرين فرأت ملامح وجوههم تدل على القلق واللهفة .

واسترسلت مس ماربل فى قراءتها :

» » »

M وإنى أوصى بمبلغ عشرة آلف دولار لابن عمى كريستوفر ملبروز .. وعشرة آلاف دولار أخرى لجوزفين ديل .. والعقارات والممتلكات الأخرى غير المنقولة تعود إلى السيدة كرانج وابنتها إيفا وبول هانبرى L .

«التوقيع : هارلو ملبروز »

ووقع هذه الوصية كشاهد كل من جوزفين ديل وبول هانبرى .

« « «

ذهل كريستوفر ملبروز بعد أن سمع مضمون الوصية وقال :

- إنى أستغرب أن يكتب ابن عمى مثل هذه الوصية وأنا قريبه الوحيد .. ولكن ليس هذا مدار البحث الآن .. يجب أن نجد النقود المفقودة .

فقالت له السيدة كرانج .

- إننا لا نقبل هذا الاتهام منك .

- إنى لم أتهم أحدًا معينًا حتى الآن .

وقطع عليهم جدالهم هذا صوت رنين جرس الباب .. فقالت السيدة كرانج لابنتها :

- انظرى من القادم ؟

وقال كريستوفر :

- يجب أن نجد هذا المبلغ .

فقالت السيدة كرانج :

- سوف تحصل على عشرة آلاف دولار كما جاء فى الوصية .. فما شأنك بالباقى .. إذا فقد هذا المبلغ فإنه خسارة علينا .. وليس عليك .

وقالت السيدة كرانج .. بعد أن أصبحت الوارثة لممتلكات هارلو ملبروز بإبلاغ جوزفين ديل أن لها عشرة آلاف دولار طبقًا لنص الوصية ..

وعند عودة مس ماربل إلى مكتبها وجدت رسالة بانتظارها..

فجلست بجانب سكرتيرتها تقرأ الرسالة .. ثم ابتسمت بعد أن فهمت محتواها .. وقالت :

- إنه فى سان فرانسيسكو الآن .

فسألتها مارى براند فى دهشة :

- من هو ؟

- مستر هركيل بوارو .

- حقًا ؟!

- نعم .. إنه يقوم ببعض التحريات بشأن مهمته فى سان فرانسيسكو .. وهو لا ينوى الحضور فى الوقت الحالى .

وصمتت برهة .. ثم طلبت من سكرتيرتها أن تكتب رسالة له .. فأمسكت مارى براند بالقلم .. وراحت تكتب مسودة الرسالة على لسان مس ماربل .

كتبت تقول :

« عزيزى بوارو :

كنت سعيدة جدًا حين استلمت رسالتك بعد هذا الغياب الطويل .. لقد افتقدتك كثيرًا .. وتمنيت لو أنك هنا .. فالعمل كثير .. والفرص متوافرة للحصول على مكاسب كبيرة .. يوجد عندى الآن

قضية تشغل بالى .. وسوف أطلعك عليها بالتفصيل .. وأرجو أن تزودنى بملاحظاتك وآرائك » ..
ثم أرفقت الرسالة بنسخة من الوصية .. وبعثت بالرسالة إلى البريد بعد أن احتفظت بنسختين من الوصية .

« « «

وبعد يومين دخل موزع البريد ليسلم مس ماربل برقية من هركيل بوارو وجوابًا على رسالتها .
وقد كتب إليها يقول :
« استلمت رسالتك .. واطلعت على الوصية .. وجميع التفاصيل .. فكانت الصفحة الأولى منها معقولة ومنطقية .. إلا ان الصفحة الثانية يظهر فيها التلاعب .. كما أن لغتها تختلف عن لغة الصفحة الأولى مما يدل على أن فى الأمر ما يريب .. وافينى بما يستجد من أمور .. مع أطيب تحياتى .. وأفضل تمنياتى»
« هركيل بوارو »
وسألت مارى براند بعد أن قرأت مس ماربل البرقية :
- هل من جواب ؟
- نعم .. أرسلى خطابًا إلى هركيل بوارو فى سان فرانسيسكو واطلبى منه أن يكون أكثر إيضاحًا فى رسالته القادمة .

« « «

وفى اليوم التالى علمت مس ماربل أن جوزفين ديل التحقت بالعمل عند شخص جديد على جانب كبير من الثراء .. ومعروف بتنقله وأسفاره العديدة عبر البلاد فلا يكاد يستقر فى بلد ما بضعة أيام حتى يحفزه السفر إلى بلد آخر .
وقد نالت هذه الوظيفة إعجاب جوزفين لأنها كانت تهوى هذا النوع من الحياة .

الفصل السابع

جثة رجل ميت

ضغطت مس ماربل أصبعها على جرس الباب المتكوب بجانبه اسم جوزفين ديل .. ولكنها لم تظفر بجواب .

فكرت قليلاً .. ثم ضغطت على الزر المكتوب بجانبه كلمة «المدير» .. ففتحت الباب امرأة متوسطة العمر .. وسألتها عن حاجتها .. فقالت مس ماربل :

- أريد محادثة الآنسة جوزفين ديل .

فأشارت المرأة إلى باب جانبى .. وقالت :

- اضغطى على ذلك الزر .

فقالت مس ماربل :

- لا يوجد أحد .. هل تعرفين أين ذهبت ؟ أو هل أستطيع سؤال أحد عنها ؟

فقالت المرأة :

- إنها تقيم مع فتاة تدعى ميرنا جاكسون .

- ليست هنا أيضًا .

- لا أدرى .. عودى فى وقت آخر .

عند ذلك أخرجت مس ماربل بطاقة باسمها .. وكتبت عليها :

« الآنسة ديل .. اتصلى بى حالاً .. المسألة مهمة تتعلق بنقود تخصك » .

« « «

.... وفى طريقها إلى المكتب مرت مس ماربل بجواز كوسلنج الأعمى فحياها قبل أن تقول كلمة واحدة .. ثم قال وهو يشير إلى صندوق صغير :

- هذا صندوق موسيقى يعبأ كما تعبأ الساعة .. استلمته هذا الصباح من موزع البريد الذى قال إنه مرسل من أحد الأصدقاء وهذه باقة من الزهر معها بطاقة لا أدرى إن كان قد كتب عليها شىء أم لا .

وسلم البطاقة إلى مس ماربل .. فقرأتها له بصوت مسموع :

« صديقى العزيز :

أشكرك لاهتمامك بأمرى .. والتفكير فى مصلحتى .. وتكليفك مس ماربل بالبحث عنى .. أرسل إليك باقة من الزهر تذكارًا لصداقتنا .. واعترافًا بجميلك » .

« جوزفين ديل »

« « «

وطلبت مس ماربل من كوسلنج أن تحتفظ بالبطاقة يومين أو ثلاثة على أن تعيدها إليه بعد ذلك .

وقال كوسلنج :

- أرجو أن تعيديها لى لأنى أريد الاحتفاظ بها .. وإذا لم تجدينى هنا فاكتبى عنوان بيتى عندك : شارع فيرميد رقم 1672 .. إلى اللقاء يا سيدتى .. وشكرًا جزيلاً .

« « «

وبينما كانت مس ماربل فى مكتبها أبلغتها السكرتيرة مارى براند بقدوم كريستوفر ملبروز فدعته للدخول .

وما إن جلس أمامها حتى بدأ يعتب عليها لتأخرها فى الوصول إلى نتيجة بخصوص العشرة آلاف دولار المفقودة ..

وقد وعدته أن تبذل قصارى جهدها بعد التأكد من صحة الوصية والتوقيعات التى عليها .

« « «

وبعد خروج المستر ملبروز تلقت مس ماربل برقية من هركيل بوارو ينصحها فيها أن توكل القضية إلى رجل قانونى .. وأن تعرض الوصية على أحد الخبراء فى فن الخطوط .

« « «

وقد وقع اختيار مس ماربل على القانونى المعروف والتون دولتل الذى أكد لها بحضور خبير فى فن الخطوط أنه كان هناك تزوير فى التوقيعات التى على الصفحة الثانية من الوصية وأن ذلك التزوير قد تم بطريقة فنية غاية فى البراعة .. فالخطوط متشابهة تمامًا ما فى ذلك من شك .

« « «

ولم تقتنع مس ماربل بهذه الأقوال .. فقد كانت متأكدة فى قرارة نفسها أن الوصية مزورة .. ورأت أن تعود إلى الرجل الأعمى كوسلنج فربما يهديها إلى طريقة ما .. أو بالأحرى لعله يبدى لها رأيًا صائبًا .. كما سبق له أن قدم اقتراحات كانت لها قيمتها حين كان هركيل بوارو يشرف على إدارة المكتب .

واستأجرت سيارة .. وطلبت من السائق أن يوصلها إلى شارع فيرميد .. مقر كوسلنج الأعمى .

وعند أول الشارع طلبت منه أن يتوقف .

ونزلت من السيارة .. وأخبرت السائق أن ينتظرها قائلة له :

- أفضل أن أسير على الأقدام حتى أستطيع الاهتداء إلى البيت .

ونظرت إلى الرقم «1600» .. وأكملت سيرها بجوار المنازل إلى أن وقع بصرها على الرقم «1672» .

هو ذا البيت المنشود .. مقر كوسلنج الأعمى .

« « «

وقفت أمام الباب قليلاً تمعن النظر فى مظهر البناية الخارجى.

كانت الساعة تقارب السابعة مساءً ..

وكان الظلام يخيم على المنزل .

اقتربت من الباب الداخلى فلم تسمع أى صوت أو حركة فنادت بأعلى صوتها :

- هل من أحد داخل البيت ؟

ولكن دون جواب .

كان السكون تامًا .. شاملاً .. والصمت كثيفًا .. مروعًا .

فتحت الباب ..

وبواسطة المصباح اليدوى الذى معها استطاعت الاهتداء إلى زر الكهرباء .. فضغطت عليه .. ولكن النور لم يسطع .. ففهمت أن الغرفة بلا كهرباء ..

قالت لنفسها :

- حقًا .. وما حاجة الأعمى إلى الكهرباء ؟!

ووقفت فى وسط الغرفة .. وصاحت بأعلى صوتها :

- أنا مس ماربل .. هل من أحد فى البيت ؟
ولكنها لم تسمع جوابًا .
وراحت تسير بحذر فى أنحاء البيت وقد استولى عليها الذعر .
وعلى حين فجأة أحست بشىء ثقيل على ظهرها .. وبشىء آخر يقبض على عنقها .. فتسمرت فى مكانها بلا حراك .. وكاد الدم يتجمد فى عروقها من شدة الخوف .
وبعد لحظات .. عندما زال ذلك الكابوس عنها .. التفتت نحو السقف حيث سمعت صوتًا عجيبًا وحركة غريبة فرأت وطواطًا هائل الحجم لم تر أكبر منه طيلة حياتها .
واستدارت إلى الخلف بسرعة لتهرب من هذا الجو البغيض .. خاصة أنها رأت عددًا من الوطاويط الصغيرة تطير أمامها فأحنت رأسها لتحمى وجهها من هذه الكائنات البشعة .
ووقع بصرها على الأرض فى تلك اللحظة ..
وعندئذ فقط رأت بقعة الدم !!

« « «

جمدت مس ماربل مكانها لتنظر إلى تلك البقعة الدموية على الرغم من الخوف الشديد الذى جعل وجهها ممتقعًا .. وأنفاسها لاهثة .
وحولت نظرها فيما حولها بمساعدة المصباح الكهربائى .. ولم تلبث أن أفلتت من شهقة حافلة بالذعر .
هناك .. قرب النافذة .. كانت توجد جثة رجل ميت !!

« « «

شعرت مس ماربل بالرعب أضعاف ما شعرت به بادئ الأمر .. فهرولت إلى الباب .. وخرجت من البيت وهى تنظر وراءها كأن الشيطان فى أعقابها .
ووقفت قليلاً على بعد بضعة أمتار من البيت تتنفس الصعداء .. وهى لا تكاد تصدق نفسها أن خرجت سالمة من ذلك المكان الرهيب .
وتذكرت أن السيارة لا تزال فى انتظارها .. فذهبت مسرعة إليها .. وعندما وصلتها سألها السائق إن كانت مهمتها قد انتهت .. ولكنها لم تجبه لأنها لم تكن ترغب فى الحديث فى تلك اللحظة ..
وفتحت الباب .. وصعدت إلى المقعد الخلفى .. وطلبت من السائق أن يسرع فى القيادة قائلة له :
- إلى مركز البوليس .
وأراد السائق أن يستدرجها إلى الكلام .. وقد رأى الخوف والقلق مرتسمين على وجهها فسألها :
ألا تريدين الذهاب إلى البيت يا سيدتى ؟
- قلت إلى مركز البوليس .. فقد وجدت قتيلاً فى البيت الذى ذهبت إليه .

« « «

وفى مركز البوليس وقفت مس ماربل أمام الجاويش فرانك سولار الذى عرف باتزانه ورويته .
وراح الجاويش يحرك السيجار بين أسنانه وهو ينظر إلى مس ماربل وهى تقص عليه الحادث .. ثم قال لها :
- أرجو أن تجيبى عن أسئلتى .
فأومأت بالإيجاب .
وبدأ فرانك يسألها :

- لقد ذهبت إلى البيت لمقابلة الرجل الأعمى .. أليس كذلك ؟
- بلى .
- هل تعرفينه من قبل ؟
- نعم .
- قلت إنه طلب منك إنجاز مهمة مقابل أجر معين .. وقد قمت بها .
- هذا صحيح .
- إذن ما الذى دفعك لزيارته مرة أخرى ؟
- هناك أمر آخر أردت معرفة رأيه فيه .
- وهل وصلت إلى نتيجة بشأن المهمة التى كلفك بالقيام بها؟
- نعم .. أستطيع أن أقول إنها انتهت .. ولكنى ذهبت إليه لأطلب مساعدته فى أمر يشغلنى .
فهز الشرطى رأسه عدة مرات وقال :
- آه .. فهمت .. ولكن هل أردت المساعدة من رجل أعمى .. كيف يكون ذلك ؟
فقالت مس ماربل فى حدة :
- قلت إننى ذهبت لرؤيته وكفى .. ولن أقول شيئًا عن الأمر الذى ذهبت من أجله .
فسألها متجاهلاً جملتها الأخيرة :
قلت إن الجثة كانت ملقاة على وجهها بجوار النافذة .
- نعم .
- هل مات إثر عيار نارى .
- أعتقد ذلك .
- ألا تعرفين بالضبط ؟
- كلا .. فإنى لم أفحص الجثة .. أعتقد أنه زحف من المكان الذى أصيب فيه إلى المكان الذى سلم فيه الروح .. ويفسر ذلك الدم الموجود على الأرض .
- كم تقدرين هذه المسافة ؟
- عشرة أو خمسة عشر قدمًا .
- كيف عرفت أنه الرجل الأعمى مادام وجهه على الأرض ؟
- عرفته من بنية جسمه .. كما أن مستأجر ذلك البيت هو الرجل الأعمى نفسه .
- ولكنك لم تقلبى الجثة .
- كلا .. لم ألمسها أبدًا .. ولم ألمس أى شىء هناك .
فقال رجل الشرطة :
- حسنًا .. دعينا نذهب إلى هناك معًا .
والتفت الجاويش فرانك سولار إلى سائق السيارة الذى كان مع مس ماربل وسأله :
- ما اسمك ؟
- هارى سميث .
- ماذا تعرف عن الحادث ؟
- لا شىء مطلقًا .. إن مهمتى كسائق تحتم علىّ توصيل هذه السيدة إلى المكان الذى تريده .. وقد انتظرتها حتى عادت .. وها أنا هنا الآن .

- وهل انتظرتها داخل السيارة ؟
- نعم .
- وهل يوجد راديو فى سيارتك .
- نعم .
- هل كان مفتوحًا ؟
- نعم .
- برنامج موسيقى فيما أعتقد ؟
- تمامًا .
- هل كان فى استطاعتك سماع عيار نارى فى ذلك الوقت ؟
وفكر السائق برهة ثم قال :
- كلا .. لا أعتقد ذلك .
فقالت مس ماربل :
- ماذا تقصد يا سيدى ؟ .. لم يكن هناك أى طلق نارى .
- كيف عرفت ذلك ؟
- لو حدث حقًا .. إذن لسمعته .
فرمقها بنظراته لحظة .. ثم تحول إلى السائق وسأله :
- هل هذا كل ما تعرفه ؟
- نعم .. هذا كل شىء .
- أرنى رخصة القيادة التى معك .
وأخذ الجاويش الرخصة .. وسجل رقمها .. ورقم السيارة .. ثم قال :
- لا حاجة لأن نبقيك معنا .. أما أنت يا سيدتى فسوف تذهبين معى فى سيارتى .
وهنا قال السائق لمس ماربل :
- الأجرة دولار وثمانون سنتًا يا سيدتى .
- لماذا ؟ هذا كثير .
- لقد حسبت وقت الانتظار .
- كلا .. لن أدفع ذلك .. ولا يمكنك أن تحسب وقت الانتظار .
وتدخل الجاويش قائلاً :
- لا بأس .. ادفعى له ما طلبه .
ولكنها لم تأبه لكلام الجاويش .. فأخرجت من محفظتها دولارًا ونصفًا .. وألقتها على المنضدة وهى تقول :
- هذا ما تستحقه فقط .
ونظر السائق إلى الجاويش .. فأومأ بأن يأخذ المبلغ .
وعندما وضع النقود فى جيبه انفجر كالبركان وقال فى غضب :
- سيدى الجاويش .. سأقول لك ما لم أقله .. لقد انتظرت طويلاً فى البيت .. ورأيت تلك السيدة تجرى بسرعة نحوى .. وكانت تنظر وراءها باستمرار .
- أشكرك .

« « «

وخرج السائق ..

وذهب الجاويش إلى سيارة البوليس حيث جلس مع مس ماربل فى المقاعد الخلفية ومعهما آخرون من رجال المباحث .

وعندما وصلوا إلى بيت الرجل الأعمى طلب الجاويش من مس ماربل أن تنتظر داخل السيارة .. وذهب معه الآخرون .. وكان أحدهم يحمل كاميرا لتصوير الجثة .

« « «

وبعد عودتهم سأل الجاويش مس ماربل :

- ما اسم ذلك الرجل الأعمى ؟

- رودنى كوسلنج .

- هل تعرفين شيئًا عن عائلته ؟

- أعتقد أنه بدون عائلة .

- منذ متى يعيش فى هذا البيت ؟

- لا أدرى .

- هل نستطيع أن نقول إنك لا تعرفين عنه الكثير بوجه عام .

- نعم .. هذا صحيح .

- من هى الشخصية التى كلفك الرجل الأعمى بالبحث عنها ؟

- امرأة .

- هل هى عمياء أيضًا ؟

- كلا .

- وهل عثرت عليها ؟

- نعم .

ما اسمها ؟

وهزت مس ماربل رأسها نفيًا .

- هل هى قريبته ؟

- كلا .

- هل أنت متأكدة ؟

- كل التأكيد .

- ألا يحتمل أن تكون قريبته .. وقد التجأت إلى شخص ما .. وأخفى كوسلنج عنك هذه الحقيقة لغاية فى نفسه ؟

- لا أعتقد هذا .. لأنه كان يحب هذه الفتاة حبًا بريئًا . ثم قالت بصوت جهورى :

- مالك وهذه الأسئلة ؟ كان بإمكانى إخفاء الأمر عن البوليس .

ونظر إليها الجاويش نظرة طويلة وقال :

- لو تقدمت بعض الوقت إلى المنزل لكنت أنت الضحية .

- ماذا تعنى ؟

- لقد مات الرجل نتيجة شرك نصب له .

- كيف ذلك ؟

- كان البيت ملغومًا .. وقد مد الشريط من اللغم إلى الباب بحيث يتعرض للموت كل من يحاول فتح هذا الباب .

ومط الجاويش شفتيه إلى الأمام وقال :

- ثم إن الرجل الذى مات لم يكن أعمى ..

وهتفت مس ماربل قائلة :

- ماذا تقول ؟

- نعم .. إنه لم يكن أعمى .. هيا معى لتنظرى إلى الجثة .

« « «

وذهبت مس ماربل مع الجاويش ..

وعندما أمعنت النظر فى وجه الرجل الميت هزت رأسها مرات عديدة .. وقالت للجاويش :

- نعم .. إننى أعرف هذا الرجل .. إنه يدعى جارى بولمان .. وقد زارنى فى المكتب ذات يوم عارضًا خدماته علىّ .. إلا أننى لم أتوصل معه إلى اتفاق .

الفصل الثامن

تحريات مس ماربل

تردد الجاويش فرانك سولار بعض الوقت .. ثم قال :

- عفوًا سيدتى .. منذ متى عرفت هذا الرجل ؟

- منذ أسبوع تقريبًا .

وكوسلنج الأعمى ؟

- منذ ثمانية أو تسعة أيام .

- ما الغرض الذى زارك من أجله هذا الرجل بولمان ؟

- هو نفس القضية .. حادث السيارة الذى أخبرتك عنه ..

- هل تعتقدين بوجود أى علاقة بينهما ؟

- لا أعتقد ذلك .

- ولكنى فهمت منك أن بولمان جاء يعرض خدماته بخصوص القضية التى كلفك بها كوسلنج الأعمى .. فهل لى أن أعرف شيئًا عن هذه القضية ؟

- لا أستطيع أن أخبرك شيئًا .. فإن أصحاب الأمر لا يريدون نشرها على الملأ .. يريدونها مكتومة .

- لا تنسى أن فى الأمر جريمة .. وأنك تتحدثين إلى رجل شرطة .

- نعم .. أعرف هذا .. ولكن القضية لا علاقة لها بجريمة القتل .

- كيف تحكمين بذلك ؟

وهزت كتفيها .. فقال الشرطى :

- لنعد إلى السيارة .

وخرج الجميع .. إلا رجلاً يدعى شارلى بقى فى المنزل لمراقبة الجثة بناء على تعليمات الجاويش .

والتفت فرانك سولار إلى مس ماربل وقال لها :

- هيا بنا يا سيدتى .. لا أستطيع أن أجبرك على إجابة أسئلتى .. ولكن المحكمة تستطيع ذلك .

- كلا .. لا تستطيع .. لى الحق أن أقول ما أريد .. لا تنس أننى خبرة خاصة ولا يمكننى أن أعلن قضـايا الناس لرجل القانون .. فإن ذلك يورطنى فى مشاكل جديدة .

وطلب الجاويش من السائق أن يقودهم إلى بيت مس ماربل لإيصالها هناك .. بينما تابعت سيارة البوليس طريقها إلى الإدارة العامة للشرطة .. لتبليغها وقائع الحادث .

» » »

وقبل أن تأوى مس ماربل إلى فراشها أرادت أن تتم عملها .. فقد كانت ثمة مشكلة لا تزال تشغل بالها .. تناولت قدحًا من القهوة .. ثم غادرت المنزل قاصدة بيت جوزفين ديل .

وهناك وجدتها منهمكة فى حزم أمتعتها ..

وبعد أن ردت تحيتها قالت جوزفين :

- يؤسفنى أننى لا أستطيع توفير الوقت للتحدث معك .. إننى أستعد للسفر مع مخدومى لأباشر عملى الجديد .

فقالت مس ماربل .

- جئت لأسألك سؤالاً .. ولن يأخذ هذا من وقتك الشىء الكثير .. ويمكن الاستمرار فى حزم أمتعتك .

وظلت مس ماربل واقفة .. وقد نظرت حولها لتجلس على أحد المقاعد .. فهمت جوزفين معنى نظرتها .. وتقدمت من أحد المقاعد .. ورفعت عنه بعض الملابس التى كانت متناثرة عليه بعصبية ظاهرة لأنها لم تكن ترغب فى تلك الزيارة .

وقالت جوزفين أخيرًا :

- نعم .. اسألى ما تريدين .

فقالت مس ماربل :

- هل لى أن أعرف شيئًا عن موت هارلو ملبروز الفجائى .

وضمت جوزفين شفتيها .. وزفرت زفرة طويلة .. وقالت وهى لا تزال منهمكة فى حزم الأمتعة : نعم .

وسألتها مس ماربل :

- هل ذهبت معه ؟

- نعم .. رافقته حتى البيت .. وهناك وجدت السيدة كرانج وابنتها إيفا فساعدناه جميعًا ليصل إلى فراشه ..

- هل كان الدكتور هناك ؟

- كلا .. بل حضر بعد وصولنا بربع ساعة تقريبًا ..

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- قام الدكتور بفحصه .. وأعطاه الحقنة اللازمة .. ثم كتب له بعض العلاج وخرج واعدًا العودة بعد ظهر ذلك اليوم .

وعندما عاد الدكتور بعد الظهر نصحنا بأن ننقل المستر ملبروز إلى أحد المستشفيات بحجة أن صحة المريض لم تتحسن .. ومع هذا فقد أعطاه حقنة أخرى .. وترك له بعض الأدوية .

- وهل عملتم بنصيحة الدكتور ؟

- كلا .. لأن المستر ملبروز نفسه لم يوافق .. بل رأى أن نرجئ نقله إلى المستشفى حتى صباح اليوم التالى .

- وهل عاد الدكتور لزيارته ؟

- وعد بالعودة فى الصباح التالى .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- بعد ساعة من ذهاب الدكتور كان المستر ملبروز قد أسلم الروح .

- وهل اتصلتم بالطبيب بعد ذلك ؟

- نعم .

- هل كنت حاضرة حين توفى ؟

- كلا .. بل خرجت من الغرفة لأتناول بعض الشطائر .. وكوبًا من الحليب .. لأنى لم أكن قد تناولت أى طعام حتى ذلك الوقت .. وعندما عدت إلى المنزل .. وسمعت السيدة كراننج تنادينى .. كنت لم أنته بعد من أكل الشطائر .

وقالت مس ماربل :

- سؤال آخر يراودنى يا آنسة جوزفين .
- إنى فى خدمتك .
- هل الرجل الذى نقلك بالسيارة إلى البيت ساعة الحادث يدعى بولمان .
- نعم .. إنه جارى بولمان .. ولم أعرف اسمه إلا منذ يومين .
- وكيف عرفت اسمه ؟
- من كوسلنج الأعمى .
- وكيف عرف كوسلنج الأعمى ؟ هل هما صديقان ؟
- نعم .. إنهما يعرفان بعضهما البعض .. وقد أدرك بولمان أن كوسلنج يهتم بأمرى .. ويعتنى بشئونى .
- متى وقع الحادث ؟
- كان ذلك على أثر وفاة المستر ملبروز .. فقد ذهبت مسرعة إلى المكتب لأغلقه .. وأغلق الخزانة الحديدية التى تركها مفتوحة على أمل أن يعود إلى المكتب .. وكنت - كما سبق أن ذكرت لك - لم أتناول طعامًا .. فضلاً عن شدة تعبى وإرهاقى .. فلما أسرعت فى طريقى وقع لى ذلك الحادث .. ولا أدرى كيف وقع .

وكانت جوزفين فى هذه اللحظة قد رفعت حذاء جديدًا لها لتضعه فى الحقيبة .. وإذا بها تسمع مس ماربل تقول لها :

- إن بولمان - الشاهد الوحيد - قد لقى مصرعه .

« « «

رفعت جوزفين رأسها فى حدة قبل أن تضع الحذاء فى الحقيبة .. وحملقت فى وجه مس ماربل .. ثم سقط الحذاء من يدها دون أن تشعر .. ولم تلبث أن قالت لـ مس ماربل فى دهشة بادية وذهول واضح :

- عفوًا يا سيدتى .. ماذا قلت ؟
- لقد قتل بولمان .
- لا أعتقد ذلك .. لقد اتصل بى بالأمس .. وحدثنى تليفونيًا حوالى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم .
- لقد قتل منذ ساعة ونصف .
- ياللسماء!! منذ ساعة ونصف .. هل أنت واثقة من ذلك؟
- كل الثقة .. فقد رأيت الجثة بنفسى .

وبعد لحظة صمت قالت فى عصبية :

- إن وقتى ضيق جدًا .. فأرجو أن تغادرى المنزل .

ولم تتحرك مس ماربل .

وأسرعت جوزفين لترد على التليفون فى تلك اللحظة .

وسمعتها مس ماربل تقول :

- نعم .. ليست هنا .. إن ميرنا جاكسون تقيم فى مكان آخر انتقلت إليه هذا الصباح .. لا أدرى .. إننى عازمة على السفر لأنى تسلمت وظيفتى الجديدة .

وعادت جوزفين فوجدت مس ماربل لا تزال فى مكانها .

وقالت مس ماربل فى هدوء :
- إنهم يسألون عن زميلتك ميرنا .. أليس كذلك ؟
- بلى .. إنى أتلقى مئات المكالمات بشأنها .. إنها فتاة مزعجة .
- وما سبب انتقالها من هنا ؟
- تتدخل فيما لا يعنيها .
- مثال ذلك ..
- مثال ذلك أن دفتر مذكراتى فقد منى منذ أسبوع .. ثم ظهر فجأة فى مكانه كما اعتدت أن أضعه .
- وهل هذا سبب الخلاف بينكما ؟
- وأشياء أخرى كثيرة .
قالت مس ماربل :
- كلمة أخيرة يا آنسة .. كم مضى عليك فى خدمة المستر ملبروز ؟
- سنتان .
- أوه .. عشرة آلاف دولار مكافأة لسنتين .. بمعدل خمسة آلاف لكل سنة .
فقالت جوزفين بحدة ظاهرة :
- نعم .. إن هذا التعويض يدل على كرم زائد .. وبعد أرجوك أن تغادرى المنزل على الفور .

« « «

وأمسكت مس ماربل مقبض الباب بيدها .. ودفعته إلى الداخل لتمنع جوزفين من إغلاقه بطريقة غير مباشرة .. وقالت لها :
- سؤال أخير خطر ببالى .. أين تناول المستر هارلو ملبورز طعام الإفطار يوم الحادث ؟
- فى البيت طبعًا .. مع السيدة كراننج .. وابنتها إيفا .
- هل كنت هناك ؟
- كلا .. لا أذهب إلى بيته فى الصباح الباكر .
- شكرًا .. وإلى اللقاء .

الفصل التاسع

اكتشاف جريمة أخرى

استقلت مس ماربل سيارة أجرة .. وقصدت منزل الدكتور هوارد رنجر .. وعندما قرعت الباب .. أطل الدكتور بنفسه .. فقالت له :

- أعتقد أنك تتذكرنى يا دكتور .

- آه .. نعم .. تفضلى يا مس ماربل .

- جئت أستشيرك فى أمر يهمنى .

فنظر إليها مليًا .. وقال :

- ولكن صحتك تبدو على ما يرام كما يبدو لى .

- أنا لست مريضة .. وإنما جئت بخصوص سؤال يتعلق بالمهنة .

وعندما استقر بهما الجلوس قال الدكتور :

- كيف أستطيع أن أخدمك ؟

- قل لى يا دكتور .. هل هناك سم يتناوله الإنسان بعد طعام الإفطار ويقضى عليه بعد ساعة أو ساعة ونصف من تناوله ؟

- هل مات إنسان بهذه الكيفية ؟

- أعتقد ذلك .

- ومتى كانت الوفاة ؟

- الساعة الرابعة بعد الظهر .

- وهل قدمت له إسعافات ؟

.... وراحت مس ماربل تجيبه عن أسئلته .. فذكرت له الأعراض التى انتابت المستر ملبروز قبل الوفاة .. والإسعافات والأدوية التى قدمها له الدكتور كلارج .

وتناول الدكتور هوارد كتابا من كتبه العديدة .. وتصفح صفحتين أو ثلاثا .. ثم نظر إلى مس ماربل وقال :

- هل هذا الأمر سر بينى وبينك .. أم أنه سوف يعلن فى الصحف ؟

- سيبقى سرًا بينى وبينك .

- نعم .. إن الحالات التى انتابت المريض قبل الوفاة تدل على أنه تناول السم .

فهزت مس ماربل رأسها .. ثم تأهبت للانصراف .

فسألها الدكتور :

- ما أخبار مستر بوارو ؟

- إنه فى مهمة خارجية بالاشتراك مع البوليس السرى الشهير شرلوك هولمز .

- إنه رجل فذ حقًا .

- نعم .. بفضل خلايا الذكاء الرمادية فى مخه .

ثم استطرت بعد لحظة :

- كم تريد منى أجرة لهذه الاستشارة ؟

فابتسم الدكتور وقال :

- كل ما أريده أن تبقى هذه الاستشارة سرًا بيننا . وألا تنشر فى الصحف .

وصافحته مس ماربل وهى تقول :
- آسفة لإزعاجك فى مثل هذا الوقت من الليل .. طابت ليلتك .

» » »

وعادت مس ماربل إلى سيارة أجرة .. وقالت للسائق :
- إلى فندق مترو .
وفى الفندق اتصلت بمديره .. وسألت عن المستر كريستوفر ملبروز .. ابن عم هارلو ملبروز المتوفى .. فعرفت أنه يقيم فى الغرفة رقم 319 بالطابق الثالث .
ومن قاعة الانتظار - حيث يوجد مدير الفندق - اتصلت مس ماربل تليفونيًا بالمستر كريستوفر .
وحالما سمعت صوته قالت :
- مستر ملبروز .. أنا قادمة إليك فى أمر مهم .
- من الذى يتحدث ؟
- مس ماربل .
... ووضعت السماعة دون أن تزيد كلمة واحدة .. ثم دخلت إلى المصعد .. وطلبت من عامله إيصالها إلى الطابق الثالث .

» » »

وما كادت تصل إلى الطابق الثالث .. وتقف أمام الغرفة رقم 319 حتى سمعت الباب يفتح .. وظهر المستر ملبروز الذى رحب بها .. ودعاها إلى الدخول .

» » »

كان كريستوفر يرتدى منامته .. وقد قدم مقعدًا مريحًا إلى مس ماربل .. بينما جلس هو على حافة السرير وقد أسند ظهره إلى وسادة كبيرة .
قال لـ مس ماربل :
- نعم يا سيدتى .. ما الخبر ؟
فراحت مس ماربل تحدثه عن السيدة كراننج وابنتها .. وعن خداع الناس .. وغير ذلك من الأحاديث .. فقال لها :
- أرجو أن تدخلى إلى صلب الموضوع .
فقالت له :
- هل لديك فكرة عن قيمة التركة التى خلفها ابن عمك ؟ فهز كتفيه .. بينما أردفت هى تقول :
- حوالى نصف مليون دولار .. ولم يخصك منها سوى عشرة آلاف دولار كما جاء فى الوصية .. وأنت لم تكن متوقعًا هذا من ابن عمك .. نظرًا لأنه يحبك .. ولأنك قريبه الوحيد .. وليس فى المنطق فى شىء أن يفضل السيدة كراننج عليك .
قال كريستوفر :
- حتى الآن لم أفهم شيئًا !!
فقالت مس ماربل فجأة :
- إن ابن عمك قد قُتل .
- ماذا تقولين يا سيدتى ؟
- نعم .. لقد مات نتيجة السم الذى وضع فى طعامه .

- هل أنت متأكدة من ذلك ؟
- إلى حد ما .
- وهل لديك البرهان ؟
- كلا .
- أوه .. اعتقدت أنك تستطيعين إثبات ذلك .
- قلت إننى متأكدة من موته نتيجة التسمم .. وسوف أتصل بالمدعى العام فورًا للكشف عن الجثة .. والتأكد من سبب الوفاة .
- لا أستطيع أن أقدم على مثل هذا العمل وأنا لست متأكدًا من حدوثه .
- أنا التى ستقوم بكل شىء .. وما عليك إلا أن تفوض الأمر لى .. وسوف نتفق على أن تدفع لى عشرة فى المائة من مجموع قيمة التركة .
قال كريستوفر :
- لا أعتقد أن أحدًا من آل كراننج .. أو هانبرى يقدم على هذه الخطوة .
- أوه .. إنك كريم الأخلاق حقًا إذ تظن الخير فى جميع الناس .
وبهذه المناسبة .. هل أتوا هم إليك .. أم أنت أتيت إليهم ؟
- لقد أتوا هم إلىّ .
- إذن .. لقد أقدموا على قتل ابن عمك .. ثم أتوا إليك ليدفعوا لك مبلغ عشرة آلاف دولار ليسترضوك بها .. وليأمنوا جانب البحث فى القضية .
- المهم أننى لا أستطيع أن أقدم على مثل هذا التعويض .. كما أننى لست على استعداد لأن أدفع سنتيمًا واحدًا .. وأرجو ألا تذكرى اسمى أو شيئًا على لسانى لدى السلطان .
فغضبت مس ماربل من تصرفه هذا .. ونهضت من مكانها وهى تقول :
- لا تكن جبانًا يا مستر كريستوفر .. إن التليفون قريب منك .. وأجرته لا تكلف إلا قليلاً .. فاتصل بمركز البوليس .. وأبلغهم بالأمر .. ليقوموا بتشريح الجثة .. إن ابن عمك مات نتيجة التسمم .. ومن العار أن تقف مكتوف اليدين استنادًا لظنك أن هذه العائلة طيبة .

الفصل العاشر

عودة الرجل الأعمى

فى صباح اليوم التالى ذهبت مس ماربل إلى مكتبها لتقوم ببعض الأعمال الكتابية .. ولترد على المراسلات التى قد تجدها هناك ..

وبعد ذلك توجهت إلى « بناية بونت » حيث كانت تقيم جوزفين ديل قبل أن تلحق بوظيفتها الجديدة .

إلا أن المسئولة عن تلك البناية لم تفدها بشىء .

« « «

وعند عودة مس ماربل إلى مكتبها بعد ظهر ذلك اليوم رأت عناوين ضخمة فى الصفحات الأولى من الطبعات الجديدة للصحف تقول :

« البوليس يبحث عن رجل أعمى »

« « «

وفى صباح اليوم التالى وصل الجاويش فرانك سولار إلى مكتب مس ماربل .. وسألها على الفور :

- هل تعرفين شيئًا عن كوسلنج الأعمى ؟

- كلا .. لم أعرف عنه شيئًا .

- ربما يأتى لزيارتك .. أو يحاول الاتصال بك .

- فى هذه الحالة سوف أتصل بكم على الفور .

- إن كوسلنج وكل إليك القيام بمهمة .. وأعتقد أنه سوف يعود إليك فى وقت ما .. فأرجو ألا تخفيه عنا .

- هل تعتقد أنى أفعل ذلك ؟

والتقت نظراتهما .. وابتسم الجاويش .. ثم نهض متثاقلاً .. فودعته مس ماربل حتى الباب .

« « «

وفجأة رن جرس التليفون فوق مكتب مس ماربل .. كان المتحدث هو كوسلنج الأعمى !!

« « «

وبعد مغادرة الجاويش التفتت مس ماربل إلى سكرتيرتها وقالت :

- أغلقى المكتب فى الخامسة تمامًا .. أنا ذاهبة لمقابلة شاهد .. وإذا سألك أحد عنى فقولى إنك لا تعلمين شيئًا .

« « «

واستقلت سيارة أجرة .. وذهبت إلى الشارع السابع .. المتفرع من شارع فيجوروس .. ومن هناك اتصلت بالجراج .. وطلبت من المدير أن يكلف أحد العمال بنقل سيارتها إلى الشارع السابع حيث تقف الآن .. وما هى إلا دقائق حتى كانت السيارة تقف بالقرب منها وصعدت مس ماربل إليها .. وجلست فى المقعد الخلفى .. وطلبت من السائق أن يقودها إلى شارع ولشير .

وهناك طلبت منه أن يغادر السيارة .. ويعود إلى عمله مستقلاً إحدى سيارات الأجرة .. وجلست هى خلف عجلة القيادة .. وانطلقت بالسيارة .. حتى وقفت بجانب « فندق سكوبا » فى « سان برناردينو » .

وبعد أن نزلت من السيارة .. ذهبت إلى أحد المخازن الكبيرة .. واشترت حقيبة ملابس .. وثوبًا يلائم امرأة طويلة .. نحيفة .. وقبعة .. ومعطفًا .. ووضعت كل هذه الأشياء فى الحقيبة .. ونقلتها إلى السيارة .. ووقفت قليلاً أمام الفندق لتتأكد أنها بعيدة عن عيون الرقباء .. ثم دخلت بعد أن أعطت الحقيبة لأحد عمال الفندق لينقلها إلى الداخل .

« « «

وسجلت اسمها وطلبت أن تكون إقامتها فى الغرفة رقم 381 .

ودخلت إلى غرفتها ومعها عامل الفندق الذى بدأ بترتيب السرير .. وتنظيف الزجاج .. وتعديل الستائر ..

وبعد أن انتهى من مهمته طلبت منه ألا يزعجها أحد .. لأنها تريد أن تنام لتستريح من عناء السفر .

وعلقت على الباب من الخارج لوحة كتبت عليها :

« أرجو عدم الإزعاج » .

وفى المساء .. بعد أن تم إطفاء أنوار الفندق .. حملت الحقيبة .. وصعدت السلم متسللة إلى الطابق الرابع .. قاصدة الغرفة رقم «420» .. حيث يقيم كوسلنج .

طرقت الباب بلطف .. فأجابها صوت من الداخل :

- من الطارق ؟

- مس ماربل .

وفتح كوسلنج الباب .. ودعاها للدخول .. وأغلق الباب وراءها .. وحالما اتخذت مقعدها سألته :

- أخبرنى بكل شىء .

- لا أعرف شيئًا عن الحادث .. أريدك أن تطلعينى على التفاصيل .

- كيف عرفت أن البوليس يبحث عنك ؟

- بواسطة الراديو .

- وكيف جئت إلى هنا ؟

- بولمان هو الذى أحضرنى .

- ابدأ من أول الأحداث .

- لى صديق ..

- هل هو كفيف ؟

- لا .. إنه مبصر .. لقد زرته مرة بقصد المساعدة .. وقال إنى كنت السبب فى جلب الحظ له .. فاشترى لى بعض الأسهم فى « شركة زست تكساس » المعروفة .

وقد تقدم كثيرون يريدون شراء الأسهم منى .. ولكنى رفضت وأعتقد أن بولمان هو أحد الذين رغبوا فى الشراء .

- لنعد إلى قصة بولمان .. وكيف وصلت إلى هنا .

فصمت كوسلنج لحظة .. ثم قال :

- تعرفت على جارى بولمان أول مرة حين مر أمامى ذات يوم وأنا أقف بالقرب من بناية المصرف .. ونقدنى خمسة دولارات .. وفى المرة الثانية زارنى فى البيت طالبًا منى بيع أسهم

شركة الزيت .. وقد جاءنى قبل الحادث بيوم واحد .. وحدثنى عنك .. وسألنى عن مدى النتائج التى توصلت إليها فى البحث عن الفتاة .

- هل كان يعرف عنوان جوزفين ديل ؟

- نعم .. ولا أدرى كيف .. كما أنى لا أذكر إن كنت أنا الذى أطلعته عليه .. أم لا .

- ثم ماذا ؟

- أخبرنى أن جوزفين تريد مقابلتى .. وقد اتفق معها على موعد .. وقال إنها تنتظرنى خارج المدينة على مسافة ساعة أو ساعة ونصف بالسيارة .. ولم أكن أرتاب فى قوله .. فصعدت معه فى السيارة .. وقد أحضرنى إلى هنا .

وعندما وصلنا إلى هذا الفندق لم أكن أعرف اسم المكان .. ولا اسم المدينة .. وقد ذكر لى أن جوزفين تأخرت .. وربما تأتى هذا المساء .. أو صباح الغد .

ثم صعد بى إلى الغرفة .. وأغلق الباب على .. وقال إنه سوف يعود .. ولكنه لم يعد .

وظللت أنتظر .. ولم أعرف مدى الوقت الذى يمر بى .. كما أنى لم أتناول طعامًا .. واتصلت بإدارة الفندق لأعلم منهم شيئًا عن المستر بولمان .. ولكنهم أفادونى أنه لا يوجد نزيل عندهم بهذا الاسم .. ولهذا قلت لك إنى لا أدرى إن كان اسمى مسجلاً فى إدارة الفندق أم لا .

وفى اليوم الذى اتصلت بك تليفونيًا كنت أستمع إلى برنامج موسيقى .. وتلا ذلك نشرة الأخبار .. فعلمت أن البوليس يبحث عنى .. وبعد ذلك بساعتين اتصلت بك .. ولا أدرى ماذا أفعل الآن !!

فسألته مس ماربل :

- ولماذا تخشى الاتصال بالبوليس مادمت لا تعرف شيئًا عن الحادث ؟

- لماذا تترك باب منزلك مفتوحًا ؟

- لأنى أملك حيوانًا داجنًا هناك .

- ما هو ؟

- وطواط كبير .. لقد ربيته منذ زمن طويل .. وأنا أحب أن يكون فى منزلى حيوان داجن .. أليف .. ولكنى لا أستطيع تربية هرة أو كلب .. لأنه ليس فى مقدورى تقديم الطعام لهما .. وخدمتهما كما يجب .. أما الوطواط فإنه يخدم نفسه بنفسه .. لذلك أضطر إلى ترك الباب مفتوحًا حتى يخرج متى شاء .. وعندما أدخل إلى البيت أشعر به وهو يطير فوق رأسى كأنه يرحب بى .

وصمت كوسلنج قليلاً .. ثم استطرد :

- الأمر المهم الآن .. هو كيف أستطيع الخروج من هنا ؟

- إن الأمر فى غاية السهولة .. ولكنه يحتاج إلى شىء من اللباقة .

- وكيف يكون ذلك ؟

- جئت لك بملابس امرأة .. وسوف آخذك إلى غرفتى الآن لترتدى هذه الملابس .. وما عليك إلا أن تمثل دور أمى .. اتكئ على ذراعى حين تمشى .. ولا حاجة لاستعمال العصا .. وسوف نحاول الخروج بهذه الوسيلة .

» » »

وتسللا بعد ذلك إلى غرفة مس ماربل .

وتساءل كوسلنج :

- ما الذى يبحث عنه البوليس ؟

- البوليس يريد أن يعرف من الذى وضع ذلك اللغم .. كما أنى أريد أن أعرف عن أى شىء كان بولمان يبحث .. وما الذى دفعه إلى دخول بيتك وحيدًا .. كما أن إبعادك عن البيت يدل على أمر يريد بولمان تنفيذه .. وأعتقد أنه كان يسعى وراء شىء مهم يريده أن يكون مستندًا ودليلاً .. ربما يكون صندوق الموسيقى الذى بعثت به إليك جوزفين .

وصمتت مس ماربل لحظة .. ثم استطردت :

- لا تنس أننى سوف أحصل على خمسة آلاف دولار من هذه القضية .

- أى قضية ؟

- جوزفين ديل .

- وهل تعتقدين أن بولمان يعرف ذلك ؟

- هذا ما أخشاه .

« « «

وقامت مس ماربل بعد ذلك بترتيب الثوب لكوسلنج .. وبعد أن ألبسته جميع الملابس التى أحضرتها .. طلبت منه أن يكون حذرًا فى مشيته لأن الثوب ضيق .

وقد ساعدهما الظلام فى عبور القاعة .

وما إن وصلا السيارة حتى استقلاها بسرعة .

وفيما كانت مس ماربل تقود السيارة سألها كوسلنج :

- إلى أين ؟

- إلى فندق آخر على الساحل .

« « «

وفى الفندق الجديد سجلت مس ماربل اسمها واسم كوسلنج تحت اسم « ل. م. كنج وابنتها » .

ومن هذا الفندق اتصلت بفندق « سكوبا » فى « سان برناردينو » .. وأنبأت مديره أن والدتها أصيبت بنكسة .. وأنها لا تستطيع العودة إلى الفندق .. فتأسف مدير « فندق سكوبا » لذلك النبأ .. ووعدها بأن الأمتعة التى تركتها فى الفندق سوف تحفظ عندهم لحين الطلب بما فى ذلك قائمة الحساب .

« « «

وبعد أن استقر بهما المقام فى الفندق الجديد راحت مس ماربل تسأله السؤال تلو الآخر عن كل ما يعرفه بالنسبة لجوزفين ديل .. وعن الحادث الذى وقع لجارى بولمان .. وعن علاقته بالنادى .. وما إلى ذلك من الأسئلة .

وأخيرًا ضاق كوسلنج بها ذرعًا .. وضجر من أسئلتها العديدة .. فقال :

- لقد أخبرتك كل ما أعرفه .. وليس غير ذلك .. ليتنى لم أعرف تلك الفتاة .. وليتنى لم أتصل بك مطلقًا .. لقد جلبت المتاعب لنفسى .. بنفسى .

وصمت لحظة .. ثم استرسل :

- إن الشىء الذى يحيرنى هو عدم مجىء جوزفين إلى منـزلى .. إنها لم تزرنى .. وكان من الواجب أن تفعل ذلك .

- ولكنها أرسلت لك هدية لطيفة .. لم لا تحاول الاتصال بها ؟

- لقد اتصلت بها فعلاً لأشكرها على هديتها .. ولكنها لم تكن هناك .. كانت ثمة فتاة أخرى ردت على قائلة إن جوزفين ستعود بعد قليل .. واتصلت بها للمرة الثانية .. فسمعت صوت رجل يسألنى عما أريد .. فطلبت منه أن يصلنى بالآنسة جوزفين ..

وبعد قليل كانت جوزفين تتحدث .. فلما سمعت صوتها قلت لها :

- أنا كوسلنج .. أشكرك على هديتك اللطيفة .

- أى هدية ؟

- صندوق الموسيقى .. وطاقة الزهور .

- لم أرسل هدية لأحد .

وأغلقت الخط التليفونى .. ولم أحاول الاتصال بها مرة أخرى .

- وكيف تعرفت على جوزفين ديل ؟

- كانت تمر فى الشارع .. فتقف عندى برهة صغيرة نتحدث فيها أحاديث خاطفة .

- وهل نما هذا الحب بينكما نتيجة هذه الوقفات القصيرة !

- نعم .. هذا ما حدث .

- ولكنى أراك تعرف كل شىء عنها .

- هل عدنا للشك والريبة .. قلت لك إنى أقص عليك ما أعرفه ليس غير .

« « «

ورأت مس ماربل ألا فائدة من الاستمرار فى الحديث معه .. وأنها لا تصل إلى نتيجة أكثر من ذى قبل .. فقالت :

- يجدر بنا أن يأوى كل منا إلى فراشه فإن الوقت متأخر .. متى تنهض صباحًا ؟

- حوالى التاسعة .. إنى أتأخر بعض الوقت .

« « «

وبعد أن استعد كوسلنج للنوم .. وضعت مس ماربل عصاه قريبة منه ليستعين بها حين ينهض من نومه .. ثم ذهبت إلى غرفتها المجاورة بعد أن تمنت له ليلة سعيدة .

وأغلقت الباب الفاصل بين الغرفتين .. وانتظرت قليلاً .. وأذنها على الباب تستمع لما قد يصدر عن كوسلنج .. ولكنه ظل فى فراشه .. فمشت على أطراف أصابعها .. وتسللت خارجة إلى المصعد .. ونزلت إلى الطابق الأول .

وبعد دقائق كانت تقود سيارتها عائدة إلى لوس أنجلوس .

الفصل الحادى عشر

القبض على مس ماربل

وقفت سيارة مس ماربل أخيرًا أمام بيت الأعمى .

كانت تعتقد أن البيت سيكون محروسًا من قبل رجال الأمن.

وأمسكت بمقبض الباب .. وحركته .. فانفتح الباب .. ودلفت إلى داخل البيت .. وانتظرت قليلاً .. ولكنها لم تر أحدًا .. ولم تسمع صوتًا .

وبعد لحظات رأت الوطواط يرفرف فوق رأسها .. فلم تكترث به .. ولم تشعر بالخوف كما شعرت من قبل .

وراحت تبحث عن صندوق الموسيقى حتى وجدته .

كان .. كما وصفه كوسلنج مصنوعًا من خشب الأبنوس .. ومطليًا بلون زاهٍ .. وعلى الجهة الأخرى منه اسم المخزن الذى باعه :

« مخازن برتن ج ستلمان »

كتبت مس ماربل هذا الاسم عندها .. ثم أعادت الصندوق مكانه ووقفت تنظر إلى الوطواط .. ولم تلبث أن ابتسمت وقالت له :

- اخرج من هنا أيها الوطواط .. أريد أن أغلق الباب .. هيا اخرج وإلا أصبحت سجينًا فتموت جوعًا .

وفجأة أحست بحركة خلفها فالتفتت إلى الوراء فى ذعر وهلع .. وإذا بها .. وجهًا لوجه .. أمام الجاويش فرانك سولار.

» » »

قال الجاويش وهو يشعل سيجارة :

- هذا دليل آخر يا مس ماربل .

- ماذا تعنى ؟

- ما معنى مجيئك هذه المرة ؟

- جئت لأخرج الوطواط خشية أن يموت جوعًا إذا ظل الباب مغلقًا .. لقد اعتاد كوسلنج أن يبقى الباب مفتوحًا بعض الشىء بقدر يسمح للوطواط بالخروج والدخول حتى يبحث عن طعامه .. أما أنتم فقد أغلقتم الباب عليه .. غير مكترثين به .

- وكيف عرفت أننا أغلقنا الباب عليه ؟

- استنتجت ذلك .

- لقد رأيتك منذ دخلت البيت .. وفحصت ذلك الصندوق الموسيقى .. ولا أرى سر اهتمامك به .. ربما أخذت منه شيئًا مهمًا .. وربما كان ذلك الشىء هو الذى جاء بولمان من أجله .. لذلك أرجو أن تقفى مكانك مرفوعة الأيدى حتى أتناول هذا الصندوق .. ثم نذهب معًا إلى مركز البوليس لاستجوابك .

» » »

وفى مركز البوليس استدعى الجاويش سولار امرأة من قوة البوليس وطلب إليها تفتيش مس ماربل تفتيشًا دقيقًا .. ولكنها عادت إليه بعد قليل لتخبره أنها لم تجد شيئًا .

» » »

وجلست مس ماربل فى مكتب الجاويش بينما رفع هو سماعة التليفون واتصل بمخازن « برتن ج ستلمان » وسأل محدثه إن كان يتذكر ذلك الصندوق .. ومن الذى اشتراه .. فأجابه إنها شابة تدعى جوزفين ديل .. وقال الموظف :

- لقد طلبت إلينا أن نوصله إلى رجل أعمى كهدية له من صديقة عزيزة .

وشكره الجاويش .. ثم التفت إلى مس ماربل قائلاً :

- أعتقد أنى حصلت على طرف الخيط .

ثم سألها عن الأعمى كوسلنج .. فأنكرت أنها تعرف عنه شيئًا .

ففكر الجاويش قليلاً ثم قال لها :

- إن مغادرتك المكتب بعد ظهر اليوم فجأة أمر يدعو إلى الريبة .

- هل محظور على المرء أن يغادر مكتبه ؟

فأجابها وهو يبتسم ابتسامة مغتصبة :

- كلا بالطبع .. ولكن هل أستطيع معرفة المكان الذى ذهبت إليه ؟

وقبل أن تقولى شيئًا .. أحب أن أحيطك علمًا بأن اثنين من رجالنا كانا يتبعانك حين ذهبت إلى الشارع السابع .. وانطلقت من هناك إلى مكان مجهول .. إننى لم أسمح للرجلين بأن يتعقباك .. بعد ذلك .

ولم تقل مس ماربل كلمة واحدة .. بل إن الاضطراب بدا عليها على الرغم من محاولتها إخفاءه .

ودعا الجاويش سولار المرأة التى فتشت مس ماربل .. وهى المسئولة عن قسم النساء فى البوليس .. وقال لها :

- مس ماربل .. إن السيدة ستبقى عندنا الليلة .. أرجو أن تدبرى لها المكان المناسب المريح .

والتفتت إليها مسز بيل وقالت :

- تفضلى يا عزيزتى .

ولم تعترض مس ماربل بكلمة واحدة .. وذهبت مع مسز بيل لتكون رهن التحقيق حتى الصباح .

وفى صباح اليوم التالى دخلت عليها المسز بيل وأخبرتها أن تستعد للخروج فقد صدر الأمر بإخلاء سبيلها .

وكانت مس ماربل فى أشد حالات الغضب .

وعندما وصلت إلى مكتبها طلبت من سكرتيرتها الاتصال بالجاويش سولار فى الحال .

وما إن سمعت صوته حتى بدأت تكيل له عبارات اللوم والتقريع .. فابتسم الجاويش سولار .. ولكن ابتسامته ما لبثت أن تلاشت عندما استرسلت مس ماربل فى لومها وتقريعها .

قال لها مهدئًا :

- لا تغضبى يا مس ماربل .. لقد وضعت نفسك موضع الريبة والشك بذهابك مرة أخرى إلى منـزل القتيل .. وبهذه المناسبة أنصحك بعدم الذهاب إلى الفندق الذى يقع على شاطئ البحر لأن (والدتك) موجودة عندنا .. وها هى هنا فى المكتب .

وشعرت مس ماربل برجفة تسرى فى بدنها .. ولكنها لم تقل شيئًا .. واسترسل الجاويش يقول :

إن حجزك الليلة الماضية كان احتياطيًا لحين القيام ببعض الاتصالات وإذا كان لديك ما تقولينه فسوف تقولينه فى المحكمة .. إلى اللقاء .

» » »

وكانت السكرتيرة مارى براند تراقب مخدومتها .. وقد شعرت باضطرابها فسألتها عما بها فراحت مس ماربل تتحدث بكل ما وقع لها .. ثم اختتمت حديثها قائلة :

- إننى متعبة جدًا .. سأذهب إلى البيت لأستريح ريثما ينجلى الموقف .. لقد كشف الجاويش سولار كل شيء .. وأخشى أن يطلعه كوسلنج الأعمى على ما لديه من معلومات .

» » »

وبعد أن استيقظت مس ماربل من نومها بعد ظهر ذلك اليوم ذهبت تبحث عن جوزفين ديل حتى استطاعت العثور عليها فى بناية مجاورة للبناية التى كانت تقيم فيها سابقًا .

» » »

ودخلت مس ماربل إلى منـزل جوزفين .. وكان استقبالها مشجعًا على التحدث بصراحة .

قالت مس ماربل :

- جئت أتحدث إليك من جديد عن ذلك الحادث الذى وقع لك .

- ماذا تريدين أن تقولى يا سيدتى ؟

- أريد أن أعرف كيف وقع بالتفصيل .

- لا أذكر كيف وقع الحادث بالضبط .. كل ما أذكره أن سيارة صدمتنى .. وألقتنى على الأرض .. وكان السائق لطيفًا للغاية فحملنى بسيارته ليوصلنى إلى البيت بعد أن رفضت الذهاب إلى المستشفى .

- هل عرفت رقم السيارة ؟

- كلا .. إن الرجل كان ثملاً .. وقد اتصلت ساعة وقوع الحادث بالسيدة كراننج التى قامت بدورها بتحرياتها الخاصة .. واستطاعت معرفة السائق الذى مر من ذلك الشارع فى الوقت الذى وقع فيه الحادث .

وقد اتصلت السيدة كراننج بالسائق .. فأفاد أنه لم يعلم شيئًا عن الحادث .. ذلك لأنه كان ثملاً .. إلا أن السيدة كراننج أبلغته أنها ستتصل بالسلطات المختصة .. فقام الرجل بدوره بالاتصال بشركة التأمين .. وقامت الشركة بدفع تعويض لى .

- كم دفعوا ؟

- خمسمائة دولار .. وأجر شهرين .. ووعدنى أن يبحثوا لى عن عمل لأن مخدومى قد توفى وهو المستر هارلو ملبروز .

- لماذا دفعوا لك أجر شهرين ؟

- لأن الطبيب الذى استشرته فى الصباح التالى للحادث أشار على أن أقضى مدة شهرين فى مكان هادئ بعيد عن الضوضاء .. وعناء العمل .. حتى أستعيد صحتى .

- هل تعلمين أن السائق الذى دفع لك التعويض هو غير السائق الذى صدمك ؟

- ماذا تقولين ؟

- نعم .. هو غير المطلوب .. إن السائق الذى صدمك كان ثملاً .. وقد فر بسيارته .. ولكن السائق الآخر تصادف أن كان ثملاً أيضًا .. ولما سألوه عن الحادث لم يتذكر شيئًا .. فاضطر إلى الاتصال بشركة التأمين .. وقامت الشركة بدفع التعويض لك .

- هل أنت متأكدة أن رقم السيارة كان مغلوطًا ؟

- نعم .. كل التأكيد .

- وماذا أفعل الآن ؟
وتجاهلت مس ماربل ذلك السؤال .. ولم تشأ أن تخبرها بشىء وقالت :
- هل تعلمين أن زميلتك ميرنا جاكسون كانت تنتحل شخصيتك لغاية فى نفسها .
- دعينا من هذا .. وأرجو أن تعودى من حيث أتيت .. وداعًا يا سيدتى ..
- ولكن ..
- مع السلامة يا مس ماربل !!

الفصل الثانى عشر

بوارو يكتشف الحقيقة

لم تعد مس ماربل إلى مكتبها قبل صباح يوم الأربعاء التالى ..

وقد بادرتها السكرتيرة قائلة حين دخلت المكتب :

- أين كنت ؟

- كنت أعمل الشىء الذى أتقن عمله .

- ما هو ؟

- أصطاد سمكًا .

- يعنى أنك أمضيت طيلة نهار أمس باصطياد السمك ؟

- نعم .. ركبت سيارتى .. وسرت بها إزاء الشاطئ .. واستأجرت قارب صيد .. ورحت أقنع نفسى .. وأجرب حظى .

وصمتت لحظة ثم قالت :

- ليتك تعرفين ما توصلت إليه من معلومات جديدة .

- ما هى ؟

- إن رقم السيارة الذى حصلت عليه جوزفين ديل كان مغلوطًا .. وقد أشكل عليها الأمر لأن الرجل الذى صدمها كان ثملاً .. والسائق الآخر الذى مر من المكان حيث وقع الحادث كان ثملاً أيضًا .. لذلك ففى استطاعتها والحالة هذه أن تأخذ تعويضًا من شركتين للتأمين ولكن ليس لديها الجرأة على ذلك .. فهى تعد ذلك تلاعبًا منها .

فقالت السكرتيرة :

- أرى أن تقرئى رسالة مستر هركيل بوارو .

- هل توجد رسالة من بوارو ؟

- نعم ..وصلت الليلة الماضية .

- هل تعنى أنه هنا ؟

- لقد وصل هنا .. ومعه تصريح من الحكومة لمدة ست وثلاثين ساعة .. حيث جاء بالطائرة خصيصًا ليرانا .. وهو يبدو سعيدًا بمهمته مع شرلوك هولمز .

- لماذا لم تتصلى بى ؟

- لقد بذلت قصارى جهدى .. وقد فهمت منك أنك ذاهبة إلى «ردلاندز» .. وأخبرت مستر بوارو بذلك .. وقد تبعك إلى «ردلاندز» .. وأخبرته بكل ما حدث .. هل تريدين رسالته ؟

فقالت مس ماربل فى لهفة :

- بكل تأكيد .

واختطفت الرسالة من يد السكرتيرة .. وذهبت إلى مكتبها الخاص وجلست خلف مكتبها تقرأ الرسالة :

« عزيزتى مس ماربل :

آسف جدًا لعدم رؤيتك .. لقد وصلت هنا .. ومعى تصريح لمدة ست وثلاثين ساعة .. ولكنك لم تكونى فى المكتب .. وعلمت من مارى براند أنك ذهبت إلى «ردلاندز» حيث تعتقدين أن جوزفين ديل تقيم هناك .

لقد اطلعت على كل ما دار فى هذه القضية .. واستنادًا إلى ظروف معينة أقول إن الهديتين اللتين أخذهما الرجل الأعمى تحملان تفسيرًا معينًا .. فإحدى الهديتين أرسلت له ومعها بطاقة الراسلة وهى جوزفين ديل .. والهدية الثانية أرسلت بدون بطاقة .. وقد قيل للرجل الأعمى إنها من جوزفين ديل أيضًا .. وهذا يفسر أن هناك فتاتين باسم جوزفين ديل إحداهما حقيقية .. والأخرى مزيفة .

لقد ذهبت إلى «ردلاندز» وزرت جوزفين ديل .. وكان وصولى بيتها بعد ذهابك بأربعين دقيقة تقريبًا .

وقد قدمت نفسى لجوزفين ديل .. ووجدتها فى حالة اضطراب .. ولكنها أظهرت استعدادًا للتحدث معى .. والإجابة عن جميع أسئلتى .

وأعتقد أنك أخطأت .. واسمحى لى أن أقول هذا لأنك كنت طامعة فى مبلغ كبير .. وكنت تنظرين إلى القضية من زاوية واحدة .. وهى زاوية شركة التأمين .. وذلك للحصول على المبلغ الكبير الذى تحلمين به .

وخلال حديثى مع الآنسة جوزفين ديل كنت أحاول حملها على الحديث إلىّ .. وقد أفلحت فى ذلك .. وبدأت تحدثنى ..

وسألتها عن الوصية .. وعن شهادتها على تلك الوصية .. وفهمت منها أن الشاهد الثانى لم يكن بول هانبرى .. بل كان شخصًا آخر يدعى دوسون كان يملك محلاً للتصوير بجانب مكتب هارلو ملبروز .. ومن المعلوم أن الوصية لم تكتب فى البيت .. بل فى المكتب .

وقد طلبت من الآنسة جوزفين ديل أن تكتب توقيعها أمامى .. وقد فعلت .. وتأكد لدى أن توقيع جوزفين ديل الذى على الوصية هو غير التوقيع الذى رأيته .. وقد كتبته أمامى .

كذلك فهمت من الآنسة ديل كيف وقعت الوفاة للمستر مارلو ملبروز .. وأن كل ما ذكرته يؤكد أنه مات مسمومًا .

وهناك لعبة أخرى بشأن الحادث الذى وقع لجوزفين ديل .. ذلك أن جوزفين اتصلت بالسيدة نانى كراننج فى اليوم التالى للحادث طالبة منها بعض المال لأن جوزفين كانت بحاجة لذلك .. سيما وقد توفى مخدومها .. وأصبحت عاطلة عن العمل .. فما كان من السيدة كراننج إلا أن اتصلت بأحد أصدقائها .. وطلبت منه أن يمثل دور مندوب شركة التأمين .

واتفقت السيدة كراننج مع ذلك الصديق على مقدار المبلغ الذى سيدفع إلى جوزفين ديل .. وكان الاتفاق الذى تعرفه وهو خمسمائة دولار .. وراتب شهرين أى مدة التعطل عن العمل .

وبعد وفاة المستر هارولد ملبروز اكتشفت نانى كراننج أن حصة كريستوفر ملبروز حسب الوصية هى عشرة آلاف دولار.

والواقع أن الصفحة الأولى من الوصية تبدو صحيحة لا أثر للتزوير فيها .. أما الصفحة الثانية فهى التى كانت بعيدة عن الحقيقة .

وكانت صاحبة فكرة التزوير هى السيدة نانى كراننج .. واشترك بول هانبرى وزوجته إيفا فى ذلك .

وكانت نانى كراننج قد تخلصت من جوزفين ديل لمدة شهرين .. إذ نصحها الطبيب أن تبقى بعيدة عن المدينة .. وعن الأهل والأقارب .. وعناء العمل حتى تستعيد صحتها .. ولكن تلك النصيحة من الطبيب كانت من نانى كراننج .

وهكذا .. عندما خلا الجو لنانى كرانتج بدأت بتغيير الوصية على مهل .. وبالشكل الذى اتفقوا عليه ..

إن حادث الاصطدام الذى وقع للآنسة جوزفين ديل كان مصطنعًا ومرتبًا قبل وقوعه .. وهذا مما يدل على أن الحادث لم يبلغ إلى السلطات ...

ولا تنسى أن ميرنا جاكسون هى التى تقمصت شخصية جوزفين ديل فى كثير من الحالات .. فقد وقعت الوصية المزورة باسمها .. ثم إنها هى التى أرسلت الهدية إلى الأعمى كوسلنج .

أما حادث جارى بولمان الذى قتل باللغم فى بيت الأعمى كوسلنج .. فإن بولمان ذهب إلى البيت .. ونصب ذلك اللغم لنفسه .. وكان يقصد به قتل الأعمى لأنه الشاهد الوحيد الذى يمكن أن يقف بجانب جوزفين ديل .. ولكن لسوء حظه قتله .. فقد انفجر فيه اللغم .. وفشلت الخطة .

ولا تنسى أن الأعمى يملك ثروة ضخمة من أسهم الزيت التى يمتلكها فى شركة زيت تكساس .. كما أن له رصيدًا فى البنك .

إن الرأى القائل بأن الذى نصب اللغم هو رجل أعمى رأى خاطئ تمامًا .. لأن اللغم نصب لرجل أعمى .. وليست هناك أية حاجة تدعو لإخفائه .

وقد اتصلت بالجاويش فرانك سولار .. وأفهمته أن يبحث فى جريمة قتل .. وأطلعته على الأسس التى استندت إليها فى تقريرى .

وهناك أمر آخر غاب عن بالى أن أذكر ذلك .. هو أن جوزفين ديل كانت ممنونة جدًا وشاكرة عملنا .. وقد وافقت على دفع خمسين فى المائة من المبلغ الذى ستحصل عليه من شركة التأمين .. كما أنها وافقت على دفع عشرة فى المائة مما تحصل عليه من تركة مستر هارلو ملبروز .

إن هذا يوضح كل نقطة فى القضية .. وقد بينت لك ما قد غمض منها .. ولا يستطيع أحد ان يعرف النقطة التى توصلت إليها .

هذا وأحيطك علمًا أننى سأنتظر حتى آخر دقيقة ممكنة لكى أراك .. قبل أن أستقل الطائرة إلى سان فرانسيسكو .. وأنت تعلمين أننى فى حالة طوارئ . ويجب أن أعود فى الوقت المعين .

إننى آسف أننى لم أستطع مشاهدتك .. وها هى مارى براند على استعداد لنسخ هذه الرسالة على الآلة الكاتبة .. وأوصيك أن تتعاونى مع الجاويش سولار » .

« هركيل بوارو »

وضعت مس ماربل الرسالة على مكتبها .. وبحثت داخل الظرف حتى وجدت نسخة الوصية المزورة .

وعلى الأثر سمعت الباب الخارجى يفتح ويغلق .. وسمعت صوت الجاويش سولار يقول :

- يجب أن أرى مس ماربل .. إننى أعد نفسى شريكًا فى هذه المؤسسة .

وخرجت إليه مس ماربل فقال لها على الفور :

- مس ماربل .. أريد أن أعتذر إليك .. كنت خشنًا معك بعض الشىء .. ولكنك أنت التى أتحت الفرصة لى لمعرفة الحقيقة .. والواقع أن الفضل يرجع إليك وإلى شريكك مستر هركيل بوارو فى الكشف عن الجريمتين .

وبسط يده إليها .. وصافحها فى مودة وحرارة .

وقالت له :

- هل تم كل شىء على ما يرام ؟

- نعم .. تمامًا كما توقع مستر هركيل بوارو .. إن خلايا الذكاء الرمادية فى مخ هذا الرجل العبقرى ليس لها نظير .

« تمــت »

جريمة شرلوك هولمز

المفتاح المفقود

الفصل الاول

وقفت إحدى سيارات الأجرة بعد منتصف الليل أمام باب بناية عالية .. ونزل منها أرسين لوبين .. وشرلوك هولمز .. وبرفقتهما باتريشيا هولم .. وباميلا مارلو .

« « «

كان لوبين وهولمز يتعاونان لأول مرة فى تحقيق لغز شديد الغموض استعصى على أفهام رجال البوليس الإنجليزى .

وقد استجاب لوبين لدعوة هولمز بناء على طلب غير رسمى من الحكومتين الإنجليزية والفرنسية نظرًا لخطورة الأمر .. فجاء إلى لندن وبرفقته زميلته باميلا مارلو .

وكانت صديقته باتريشيا هولم تقيم حينئذ فى لندن .. فاجتمع شمل الأصدقاء الثلاثة .

وقدم لوبين المستر هولمز إلى الفتاتين فرحب بهما البوليس السرى الشهير .. وأصر على دعوتهم جميعًا لقضاء السهرة فى أحد ملاهى لندن المعروفة .

لحق هولمز برفاقه بعد أن نقد السائق أجره .. ثم استقلوا المصعد إلى الطابق الرابع .

وتقدمت باتريشيا زملاءها إلى باب الشقة التى تشغلها فى هذا الطابق وهى تقول :

- سأعد لكم طعامًا خفيفًا على أن تذهبوا بعد التهامه مباشرة لأننى أشعر ببعض التعب .

ووقفت أمام الباب .. وأخذت تبحث عن مفتاح الشقة .. وطال بها البحث ولكن بغير جدوى .. فالتفتت إلى رفاقها وقالت فى دهشة :

- عجبًا .. إننى لا أجد المفتاح .

« « «

دهش ثلاثتهم لهذه المفاجأة .. فشهقت باميلا .. وأطلق لوبين صفيرًا خافتًا من بين شفتيه .. بينما قال مستر هولمز :

- ابحثى جيدًا فقد يكون مختفيًا فى أحد أركان الحقيبة .. وأعادت بات البحث مرة أخرى ولكنها لم تعثر على المفتاح .. فهتفت فى عصبية وحنق :

- إن المسألة أدق مما تبدو إذ كيف يمكننى أن أدخل مسكنى الآن ؟

قال لوبين :

- لا بأس .. أعيدى البحث مرة أخرى يا بات .

وقالت باميلا :

- لعلك لم تتركيه فى القفل الداخلى قبل أن تخرجى ؟

فأجابت بات :

- لم أتركه فى القفل .. وأظن أنى أعطيته إلى لوبين ليضعه فى حقيبة يدى .

ولم يشأ لوبين أن يكون هو المسئول عن المفتاح المفقود فقال محتجًا :

- من قال ذلك .. لقد وضعت المفتاح بيدك فى الحقيبة .

وأيده هولمز قائلاً :

- أجل .. رأيتك بعينى تضعينه فى الحقيبة .

وعندما وجدت بات أن التهمة لصقت بها حاولت محاولة أخرى فقالت :

- ولكنكما كنتما تتبادلان حمل حقيبتى طول المساء .. ولابد أن أحدكما أسقطها عفوًا .. فسقط منها المفتاح .
فقال هولمز :
- وهل لم تسقط منك أنت ؟
- سقطت مرتين فقط .. ولكنها لم تفتح .
- مرتين فقط !! لقد سقطت أكثر من عشرين مرة .. ولعلك تذكرين أنك نسيتها فى المقهى ثم فى المسرح .
وقال لوبين يؤيد هولمز :
- وبعد ذلك كله لا تتوقعين ضياع المفتاح ؟
وانتصرت باميلا لصديقتها فقالت :
- ليس هذا أوان الاستجواب أو التحقيق .. المهم هو كيف تدخل بات مسكنها لتنام .. وكيف ندخل معها نحن أيضًا لتناول شىء من الطعام ؟
فقال هولمز :
- وهل مجرد ضياع المفتاح يسبب مشكلة مستعصية .. ألا يوجد لديك مفتاح آخر يا بات ؟
فأجابت بات :
- بلى .. ولكنه ليس معى .. لقد تعودت أن أتركه معلقًا فى مسمار بحائط المطبخ .
فقال لوبين :
- ألا يحتفظ بواب البناية بمفاتيح احتياطية للأبواب كافة ؟
- من يدرى .. وعلى كل حال فهو متغيب الليلة لأن زوجته تضع مولودًا بالمستشفى .
- يا للحظ العاثر .
ثم التفت إلى هولمز وقال :
- ألا يمكنك يا مستر هولمز أن تتسلق واجهة المنزل كما يفعل اللصوص مستعينًا بمواسير المياه .. أو ما شاكل ذلك ؟
فهتف هولمز :
- مواسير المياه .. وأى أبله يجازف بحياته ؟ نحن الآن فى الطابق الرابع .. وأقل هفوة فى التسلق قد تقذف بالمرء إلى الأرض حيث يدق عنقه .
فتساءل لوبين :
- أليس فى العمارة سلم للخدم؟
- بلى .. ولكنه مقفل من الداخل .. ولا أستعمله مطلقًا .
- هل أنت متأكدة من أنه مقفل بالمفتاح ؟
- أجل .. وبالمزلاج أيضًا ..
فقال هولمز :
- ألا يوجد سلم نجاة لحالات الحريق ؟
- كلا ..
- ألا يوجد بالعمارة مصعد خاص لنقل الفحم وصناديق الفضلات والقاذورات ؟
فلمعت عينا بات ببريق السرور وقالت :

- أحسنت يا مستر هولمز .. أجل .. يوجد مصعد خاص يمر بجوار المطبخ .
-وهل بابه مفتوح ؟
- يغلب على ظنى أنه مفتوح .. بل أؤكد أنه مفتوح .. لقد لاحظت ذلك تمامًا قبل خروجنا .
- هل أنت متاكدة ؟
- كل التأكيد .
- وهل يتحمل ثقل أحدنا لكى يصعد فيه إلى المطبخ .. وينفذ منه إلى الشقة ؟
- بلا شك .. بل يتحملكما معًا .. إنه يكفى لنقل طن من الفحم الحجرى .. وأظنكما دون ذلك قليلاً !!

فقال هولمز :

- على كل حال قد عثرنا على طريق يؤدى بنا إلى داخل مسكنك .. ولكنى أود أن ألفت نظرك إلى عدم ترك باب هذا المصعد مفتوحًا .. لقد عاد عليك بالفائدة فى هذه المرة .. ولكنه قد يعود بالضرر فى مرات أخرى .. إنه خير وسيلة ينفذ بها اللصوص إلى منزلك .

ولم تهتم بات لهذه الملاحظة .. بل قالت :

- لن يجدوا به شيئًا يستحق المجازفة .

ثم تقدمتهم إلى المصعد مرة أخرى .. وهبطوا إلى الطابق الأسفل .. ثم إلى مخزن الفحم .

وهناك أضاءت النور الكهربائى .. وأشارت إلى مصعد خشبى متوسط الحجم .. تراكمت فيه الأقذار والأوساخ .. وقالت :

- هيا فليصعد أحد الزملاء .

وتقدم هولمز من المصعد .. ووجد فيه إحدى صفائح القاذورات فرفعها منه وقفز إليه وقال :

- هل أذهب بمفردى فى هذه المغامرة أم يصحبنى آخر .. فأجابه لوبين :

- سأصحبك أنا .

وقفز إلى جانبه ..

وارتفع بهما المصعد فى الظلام وهو يحدث صوتًا مؤذيًا .

ولاحظ لوبين هذه الضجة فقال :

- ما هذا ؟ سوف يستيقظ جميع السكان على هذا الصوت المنكر .. وربما ظن البعض أن اللصوص يقتحمون البناية .

- وسيظن البعض أنها أشباح أطلقت فى جوانبها .. ولكن لا يعنينا الآن فى كل ذلك سوى هذه الرائحة الكريهة التى تكاد تخنقنى .. هل عرفت فى أى طابق نحن الآن ؟

فأجاب لوبين :

- كلا .

- إننى منتبه على كل حال .. نحن الآن نجتاز الطابق الثالث والذى يليه هو هدفنا .

فقال لوبين :

- أرجو أن تكون بات صادقة عندما قالت إن الباب مفتوح. وكانت بات صادقة بالفعل .. فما كاد هولمز يدفع الباب بهدوء حتى فتح بكل بساطة .. فنزل من المصعد فى خفة ولحق به لوبين .. ثم قال الأول :

- ما هذا الظلام الحالك ؟ انتظر يا لوبين .. لا تتحرك من مكانك حتى أضىء نور المطبخ .. إن أى حركة منا كفيلة بكسر أكبر كمية من أوانى بات الزجاجية والصينية .. انتظر حتى أتلمس طريقى فى الظلام .. وأصل إلى مفتاح النور .

ووقف لوبين فى مكانه بينما تقدم هولمز بكل احتراس .. وهو يقول :

- لا شك فى أن عشرات الأوانى وقطع الصينى مبعثرة فى كل مكان كالمعتاد .

وساد الصمت مرة أخرى .. ولم يلبث لوبين أن سمع هولمز يرسل لعناته عندما اصطدم طرف مائدة المطبخ بضلوعه .

واستمر هولمز فى تقدمه حتى وصل إلى مكان مفتاح النور الكهربائى وهناك تفوه بلعنة أخرى .

فقال له لوبين :

- ماذا حدث ؟

- يا لها من فتاة سيئة الحظ .. إن نور المطبخ لا يعمل أيضًا .. انتظر يا لوبين حتى أضىء حجرة الجلوس المجاورة .

وسمعه لوبين يجتاز الباب المؤدى إلى حجرة الجلوس ورغب هو أيضًا فى أن يؤدى خدمة له .. فبارح مكانه بالمثل .. وشرع يتقدم فى الظلام لاحقًا بزميله .

وكان تذمر هولمز يصل إلى أذنه خلال الظلام من الحجرة المجاورة .. فقال يسأله :

- هل عثرت على مفتاح النور ؟

- كلا .. لم أعثر على شىء بعد .. يخيل إلى أن الغرف مقلوبة رأسًا على عقب وأن كل شىء فى غير موضعه .. وكلما تقدمت تعثرت بمائدة أو مقعد فى مكان لا يخطر على بالى مطلقًا.. يا إلهى .. ها هو مقعد آخر يعترض ويكاد يوقعنى على الأرض .

وكان لوبين قد وصل فى أثناء ذلك إلى مفتاح الكهرباء الموجود فى المطبخ .. وحاول إدارته مع استعمال شىء من الضغط فانتشر النور فى الحال .

ووقف الرجلان وجهًا لوجه يحدق كل منهما فى الآخر وهما فى دهشة عظيمة .. إذ تبين لهما أنهما فى مسكن آخر غير مسكن صديقتهما بات !!

الفصل الثانى

مفاجآت

كانت مفاجأة مزعجة حقًا .. ولابد أنهما اتخذا سبيلهما بطريق الخطأ إلى مسكن مخالف .

وكانت حجرة الجلوس هذه أكثر ازدحامًا بالأثاث من مثيلتها فى شقة بات .. ولعل هذا هو السبب فى تعثر هولمز كلما تقدم خطوة فى الظلام .

وفى وسط الحجرة كانت توجد مائدة كبيرة الحجم .. غطيت بمفرش أحمر يماثل لون الستارة الكبيرة المسدلة على النافذة التى تطل على الطريق .

وكان منظر الحجرة بما فيها من أثاث ورياش ينم عن أن صاحبتها من النوع الذى يصعب التفاهم معه على أبسط الأمور فما بالك بتعليل وجود رجلين غريبين فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل .. خصوصًا وقد دخلا المسكن بطريق المصعد المخصص لنقل الفحم !!

ولاحظ هولمز أن على المائدة كومة صغيرة من رسائل البريد فالتقطها وأخذ يقرأ العناوين المكتوبة عليها ثم قال :

- يا إلهى .. السيدة أرنستين جرانت .. هل تظن انها أحست بقدومنا ؟

فأجابه لوبين همسًا :

- إن عدم ظهورها للآن يعتبر معجزة .. خصوصًا بعد اللعنات التى كنت ترسلها كلما تعثرت فى الأثاث وأنت تتلمس طريقك فى الظلام .. هيا بنا بالله قبل أن ينفضح أمرنا .. هيا ..

فأطفأ هولمز النور .. وسار فى الظلام مع لوبين فى هدوء تام حتى وصلا إلى المصعد ..

ولم يتنفس لوبين الصعداء إلا عندما شعر بالمصعد يهبط إلى أسفل فقال :

- إننى أميل بطبعى إلى النساء اللواتى يسترسلن فى النوم العميق .. والسيدة أرنستين لها ميزتها فى هذه الناحية .

ولم يجب هولمز على هذه الملاحظة لأنه كان منهمكًا بعدِّ الأدوار .. وعندما وصلا إلى أسفل قال :

- لقد فهمت السر فى خطئى الأول .. هيا بنا نصعد الآن فى أمان .

« « «

وارتفع بهما المصعد إلى الطابق الرابع .

ودفع هولمز الباب .. ونزل وهو يقول :

-أرجو أن تكون فى طابق بات هذه المرة .

ولحق به لوبين .. وبمجرد إضاءة النور الكهربائى تأكدا أنهما فى مطبخ بات .. فأسرعا إلى حجرة الجلوس .. ومنها إلى الباب الخارجى .

وكانت الفتاتان قد بلغ منهما التعب مبلغًا عظيمًا نتيجة فترة الوقوف الطويل أمام الباب .

وصاحت بات فى وجه هولمز :

- أين كنتما .. ولم تأخرتما هكذا ؟

فأجابها هولمز :

- مهلاً يا عزيزتى .. لقد فوجئنا بمغامرة غريبة .. ومن حسن الحظ أننا وصلنا فى الوقت المناسب .. ولم نؤخذ إلى مخفر البوليس بتهمة اقتحام مساكن الغير .

وتقدمت بات إلى حجرة الجلوس فألقت بمعطفها .. وجلست تستمع بسرور إلى ما يرويه هولمز .

وعندما انتهى من حديثه قالت له :
- إنى جد مسرورة لأن هذه السيدة لم تضبطكما فى مسكنها .. فهى من النوع العنيد الذى لا يتورع عن أى شىء وقد تلقيت منها رسالة هذا الصباح تطلب منى أن أقابلها فى أمر مهم .. ولعمرى إنى أرجح من الآن - بل أؤكد - أن هذه الزيارة المطلوبة تتعلق بكثرة عزفى على البيانو .. ولابد أنها ستشكو من ذلك .. وتتمسح بنصف دستة من الأمراض والعلل .. ولست أدرى أى سبب يحول دون هجرها - وأمثالها ممن يكرهون أصوات المعازف وأجهزة الراديو - البنايات الكبيرة المزدحمة بالسكان .. والبحث عن الهدوء فى الضواحى البعيدة .
ثم التفتت فى جزع إلى هولمز وقالت له :
- ما هذا يا عزيزى .. هل جرحت نفسك أثناء وجودك فى ذلك المسكن الممقوت ؟! إن يدك مخضبة بالدماء

الفصل الثالث

جثة فى الظلام

تطلع هولمز إلى يده فى دهشة واستغراب .. ثم بارح الحجرة ونادى لوبين .

وما كاد هذا يراه حتى قال له :

- ما هذا .. هل جرحت نفسك ؟

- كلا .. لم أجرح نفسى أبدًا .. أو على الأقل لم أشعر بأننى فعلت ذلك .

وكان هولمز يتحدث بلهجة غريبة جعلت لوبين يتطلع إليه باستغراب وهو يغسل يديه .

وعندما انتهى من ذلك قال :

- هاك يدى لا أثر للجراح بها .

- ولكنها كانت ملوثة بدماء كثيرة .. فأين مصدرها ؟

وأجابه هولمز :

- أمر غريب .. لست أدرى تعليلاً لذلك .

وسرعان ما اتخذت الفكرة نفسها سبيلها إلى ذهن الرجلين فى وقت واحد .. ولكن لوبين كان أسرع فى التعبير عنها فقال :

- ألا ترى أن نتأكد من مصدر هذه الدماء ؟

- وهل نترك الفتاتين هنا ؟

فقال لوبين :

- أجل .. لا داعى لإزعاجهما .. إن بات سوف تخلع ملابسها فى حجرة النوم ثم تدخل إلى المطبخ لتعد لنا « العجة » التى وعدتنا بها .. وقبل أن تنتهى من الطهى نكون قد عدنا .

وبعد تردد يسير أجابه هولمز :

- هيا بنا إذن .. مادامت الأقدار ساقتنا إلى ذلك الحادث فما علينا إلا أن نستوفى مهمتنا .. ولا نتغاضى عن هذا الأمر بأى حال من الأحوال لأننى أشعر بأن هناك شيئًا ما فى الطابق الثالث .. هيا إلى المطبخ قبل أن تأتى بات .

» » »

وأسرعا إلى مصعد نقل الفحم .. وهبطا به إلى الطابق الثالث .. واجتازا المطبخ فى سهولة هذه المرة .. حتى وصلا إلى حجرة الجلوس .. وأضاء هولمز النور وهو يقول :

- إن هذه الدماء لم تلطخ يدى إلا فى هذا المكان .. إننى لم أمس شيئًا من محتويات المطبخ .

وأخذا يجولان ببصرهما فى أنحاء الحجرة .. وقطع الأثاث المختلفة التى ازدحمت فيها .

وقطبا وجهيهما عندما أدركا أن النظام الذى كانت عليه الحجرة .. وكذلك ترتيب الأثاث .. يدل على أنه لم يحدث بها أى حادث يمكن أن تسيل فيه الدماء .

وأوشك اليأس أن يتطرق إلى نفسيهما .. إلا أن لوبين أمسك فجأة بذراع صاحبه فى شدة .. وقال له وهو يشير بيده ناحية الستارة الكبيرة المسدلة على النافذة :

- انظر .. انظر ..

أما نبرات الدهشة التى كانت تبدو فى لهجة لوبين فكان مبعثها قدم سيدة تنتعل حذاء من الجلد برزت من تحت الستارة قليلاً بحيث لا تراها إلا العين الدقيقة .

» » »

التفت هولمز إلى حيث أشار لوبين بإصبعه ..
وما كاد يرى هذا المنظر حتى بارحت شفتاه صيحة دهشة خافتة .
وتقدم لوبين إلى الستارة .. وأزاحها بيديه فكشف عن جثة سيدة ملقاة على الأرض .. وحولها بركة من الدماء .
انحنى لوبين يحاول أن يسند رأس القتيلة .. ويساعدها على الجلوس .. ولكن هولمز جذبه وقال له :
- لا تفعل شيئًا من هذا يا مسيو لوبين .. دع كل شىء فى مكانه حتى نستدعى البوليس .. وحسبنا ما وصلنا إليه من المتاعب والمسئوليات .
- طبعًا .. يجب أن نستدعيهم .. من تظن هذه السيدة .. هل هى أرنستين جرانت ؟
- هذا ما يلوح لى .. على كل حال لو كان بالمسكن أحد غيرها فإنه يلزم جانب الصمت التام .
فسأله لوبين :
- ماذا تفعل الآن .. وما هى الخطوة التالية التى تقترحها .. هل تستدعى أقرب شرطى .. أم تتصل تليفونيًا بالمخفر من مسكن بات ؟
فأجاب هولمز :
- إننى أفضل أن نتصل بهم تليفونيًا ليأتوا مسرعين .. هيا بنا نخرج عن طريق الباب .. فلن نقضى ليلتنا هكذا صاعدين هابطين فى هذا المصعد القذر .
ووافقه لوبين على هذا الرأى .
وفيما هما يتقدمان نحو الباب .. قال لوبين :
- الأفضل أن يظل أحدنا هنا ليحافظ على كل شىء .. ريثما يحضر رجال البوليس .
- هذا صحيح .. ابق هنا .. وسوف أسرع إلى التليفون وأتصل بالبوليس .

» » »

واندفع هولمز يصعد الدرجات فى قفزات متوالية .. وقرع جرس مسكن بات .. فأقبلت بسرعة وفتحت الباب .. وما كادت تراه حتى صاحت :
- أنت .. أين كنت يا مستر هولمز .. هل فى الأمر شىء ؟!
فأمسك هولمز بيدها بين يديه وقال لها مطمئنًا :
- لا شىء يا عزيزتى بات .. كل ما فى الأمر أننا عثرنا على اكتشاف غير سار .. فى الطابق الثالث .. امرأة .. ميتة .
شهقت بات بفزع وقالت متسائلة :
- يا للفظاعة .. هل انتابتها نوبة أو شىء من هذا القبيل ؟
فأجابها هولمز فى تردد وهو يحاول أن ينقل إليها الخبر على مراحل حتى لا يصدم مشاعرها :
- كلا يا عزيزتى .. ولكن يلوح لى أن المسألة أخطر من ذلك !!
فسألته بصوت مرتفع :
- ماذا تعنى ؟
- إن الظواهر تشير إلى احتمال أن الحادث .. جناية قتل . ذهلت بات وبارحت فمها الصغير صرخة خافتة .. وشدت بيديها على يدى هولمز كأنها تريد أن تحتمى به من شر مستطير .. ثم هتفت فى ذعر :

- مستر هولمز .. مستر هولمز ..
- لا تفزعى يا عزيزتى .. إنه خبر فظيع حقًا .. وسوف نتصل على الفور بمخفر البوليس .. ونخطره بالحادث .
وعلى حين فجأة سمع صوتًا خلفه يقول :
- أجل يا سيدى .. إنك مصيب فى هذا الرأى .. يجب إخطار رجال البوليس فى الحال .. ومن الآن حتى اللحظة التى يصلون فيها ربما أمكننى أن أؤدى بعض الخدمات أو المساعدات .

الفصل الرابع

بوارو يتدخل

كان مصدر الصوت شخصًا أطل عليهما من السلم المؤدى للطابق الخامس .. ولم يتمكنا - وهما بالباب - من رؤيته جيدًا حتى شرع يهبط إليهما حيث يقفان .

واستقرت أنظارهما على رجل قصير القامة .. ضئيل الجسم .. يتميز برأس بيضاوى الشكل ذى مقدمة صلعاء .. وشاربين طويلين عنى بإرسالهما حتى تدليا بشكل معقوف .

وكان يرتدى الملابس المنـزلية .. وقد سترها بروب من الحرير الموشى .. وانتعل خفين من القماش المطرز أيضًا .

وانحنى فى احترام أمام بات وقال لها فى لهجة تنم بوضوح عن أنه أجنبى عن الإنجليزية :

- مدموازيل .. من دواعى سرورى التشرف بمعرفتك .. إننى أقطن فى الطابق الخامس .. ففى الأدوار العالية أنعم بالهواء النقى والهدوء .. وأشرف عن كثب على مناظر لندن الجميلة .. وأنا أشغل المسكن الآن تحت اسم دكتور أوفلا هارتى . ولكنه اسم مستعار وليس بالحقيقة فلست أيرلنديًا كما يدل الاسم .. بل لى اسم آخر .. فاسمحى لى بأن أقدم نفسى .. وأن أكون تحت تصرفك وتصرف المستر شرلوك هولمز والمسيو أرسين لوبين .

وشفع ذلك بأن قدم لها بطاقته .. فتناولتها بات .. وما كادت تتصفحها حتى زالت الدهشة المرتسمة على وجهها .. وشاعت فيه ابتسامة سرور وهى تقول :

- ماذا .. المسيو هركيل بوارو .. الأخصائى فى كشف الجرائم .. إن شهرتك عالمية يا سيدى .. ولا شك فى أنك ستساعدنا تمامًا .

فاحمر وجه المسيو بوارو خجلاً وأجاب فى تواضع :

- إن وضعى فى مصاف الأخصائيين لتفضل منك يا آنسة فما أنا إلا شرطى سرى متقاعد .. يسعده أن يضع خدماته تحت تصرفك وقد حاولت هذا المساء أن أقدم لك خدمة أخرى .. ولكن الظروف لم تسمح بذلك .

فتطلعت إليه بات فى استغراب .

واستطرد المسيو بوارو قائلاً :

- لقد سمعت المناقشة الحادة التى دارت بينك وبين أصدقائك عندما عدتم بشأن ضياع المفتاح .. وأفضل طريقة لدخول المسكن .. ولما كنت على علم بعض الشىء بفتح الأقفال .. خصوصًا المستعصية منها .. فقد كنت على وشك النزول إليكم لأفتح لكم الباب .. ولكن ترددت قليلاً فى ذلك .. وخشيت أن يستثير هذا العمل شبهتك نحوى .. إذ ليس من السهل أن يطمئن الإنسان إلى جار يحسن فتح الأبواب والأقفال بغير مفاتيحها الأصلية .

وبقيت فى ترددى هذا حتى سمعتكم تصلون لفكرة الصعود عن طريق مصعد نقل الفحم .. فسررت كثيرًا ورجوت أن تنجحوا فى هذه الفكرة .

ثم التفت بوارو إلى هولمز وقال له :

- تفضل بالدخول يا مستر هولمز إلى مسكن الآنسة بات وبادر إلى إخطار البوليس بالحادث ليحضروا على عجل .. وسألحق بمسيو لوبين فى الطابق الثالث ريثما تعود إلينا .

« « «

وصحبته بات إلى الطابق الثالث حيث كان لوبين يقوم بالحراسة ..

وقدمت المسيو بوارو لصديقها .. وأوضحت له السبب فى حضوره .

وأخذ لوبين بدوره يقص على أذنى بوارو المرهفتين تفاصيل المغامرة التى قام بها مع مستر هولمز فى هذا المساء .. فلما انتهى من حديثه سأله بوارو فى اهتمام :

- هل كان باب مصعد الفحم مفتوحًا ؟

- نعم .

- وهل أنت واثق من أن مفتاح الإضاءة لم يكن صالحًا للاستعمال .

- نعم .. كان عاطلاً فى المطبخ .. وأما فى حجرة الجلوس فقد أضاء على الفور .

فتقدم بوارو إلى المطبخ .. وأدار المفتاح الكهربائى .. فسطع النور فى أقل من لمح البصر .

- واستطرد المخبر السرى قائلاً :

- أمر غريب .. أليس كذلك يا مسيو لوبين ؟

فأجاب لوبين وهو لا يخفى دهشته :

- بلى يا مسيو بوارو .. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى خلل فنى فى التوصيلات الكهربائية .

« « «

وفجأة لوح بوارو بيديه فى حذر .. وقال هامسًا :

- أنصتوا قليلاً .. ما هذا ؟

ولم يلبث الجميع أن سمعوا صوتًا لاهثًا أدركوا من تتابعه المنتظم أنه شخير إنسان مستغرق فى النوم .

وأشار المسيو بوارو إلى إحدى الحجرات الصغيرة المجاورة وقال :

- إن مصدر هذا الصوت ينبعث من حجرة الخدم بلا شك .

وتقدم من المطبخ على أطراف أصابعه فخرج إلى دهليز صغير يصل بينه وبين الحجرة التى كان ينبعث منها الصوت .. وكانت الحجرة صغيرة الحجم لا يشغلها إلا فراش واحد تمددت عليه فتاة فى مقتبل العمر .. متضرجة الوجه .. تغط فى نومها العميق .. وترسل ذلك الشخير الذى طرق آذان الموجودين فى الحجرة المجاورة .

وأطفأ المسيو بوارو النور وعاد أدراجه وهو يقول :

- لا ريب فى أنها الخادمة .. وهى لن تستيقظ الآن .. ولندعها فى نومها حتى يصل رجال البوليس ليتولوا أمر إيقاظها .

« « «

وعندما وصل ثلاثتهم إلى حجرة الجلوس لحق بهم هولمز وهو يقول :

- سيصل رجال البوليس .. وقد أمروا ألا نلمس شيئًا ..

فأجاب المسيو بوارو :

- إنها الجملة نفسها التى كنا نستعملها دائمًا .. لن نلمس شيئًا يا عزيزى .. بل سنكتفى بالتطلع والفحص عن بعد .

وشفع بوارو القول بالعمل فراح يجول فى أنحاء الحجرة باحثًا منقبًا .. بينما وقف الأصدقاء بالباب يرقبونه باهتمام وإعجاب .

« « «

والمسيو بوارو - كأى رجل آخر من رجال البوليس السرى أو العلنى - تبالغ الصحف كثيرًا فى تعداد مناقبه ووصف مغامراته .

وقد أوسعت الصحافة الإنجليزية أخيرًا بين صفحاتها مكانًا بارزًا لتسجيل المغامرات والحوادث العديدة التى يميط المسيو بوارو اللثام عنها بين حين وآخر .. وهى فى ذلك لا تقف عند حد وصف الحادث أو الجناية .. وما بذله المسيو بوارو فى حل غوامضها .. بل تسترسل إلى ما هو أكثر من ذلك مما تقتضيه مهنة الكتابة والتحرير لجماهير القراء الذين يتلهفون على متابعة أخبار الجرائم والمخاطرات .

وإن أسف المسيو بوارو فى قرارة نفسه .. فإنما أسفه على شىء واحد هو إهمال الصحف الإشادة بتفوقه الاستنتاجى .. فقد بنى شهرته العالمية على دعامتين هما دقة ملاحظته .. وصحة استنتاجه .. مضافًا إلى ذلك إلمامه التام العميق بالدراسات النفسية الدقيقة .

« « «

وقال هولمز إجابة عن السؤال الذى طرحه عليه المسيو بوارو:

إن الأمر الوحيد الذى دهشت له يا سيدى - وما زلت دهشًا - هو كيفية وصول الدماء إلى يدى مع أننى لم أصل إلى مكان الجثة عندما دخلنا أول مرة .

فأجاب بوارو :

- إن الجواب عن هذا السؤال ظاهر جيدًا ولا يحتاج لغير مجهود استنتاجى بسيط .. ما لون الغطاء الموضوع على هذه المائدة ؟ أحمر .. أليس كذلك ؟ وهذا هو لون الدماء أيضًا .. لقد لمست المائدة بلا شك .. ومنها تلوثت يدك بالدماء .. انظر إلى هذه البقعة القاتمة اللون على الغطاء .. كلها دماء لزجة .. لقد ارتكبت الجريمة هنا على المائدة .. ثم نقلت الجثة بعد ذلك إلى وضعها الحالى خلف الستار .

ووقف بوارو وسط الحجرة وجعل يدقق النظر فى أرجائها .. ويتأمل جوانبها من مكانه دون أن يمد يده إلى شىء .

ورغمًا عن ذلك كان الرفاق الأربعة يشعرون بأن بوارو قد ألم بكل شىء .. وأن كل قطعة من الأثاث المنتشرة فى الحجرة قد أفضت بسرها الخفى لعينيه الدقيقتين .

ثم تنهد بوارو بارتياح كمن وصل إلى بغيته وقال :

- حقًا .. إننى ألاحظ ذلك .

فسأله هولمز :

- ماذا تلاحظ يا مسيو بوارو ؟

- ألاحظ نفس الأمر الذى خالج نفسك .. ألاحظ أن الحجرة مملوءة بالأثاث .. مكتظة به .

فأجاب هولمز :

- لقد سرت أتخبط على غير هدى خلال الظلام .. وكان كل شىء على خلاف الوضع الذى تعودته فى حجرة بات .. ولكنى لم أدرك ذلك أول وهلة .

- ليس هذا كل شىء !

فتطلع إليه هولمز قائلاً :

- ماذا تعنى ؟

فقال بوارو فى لهجة الاعتذار :

- أعنى يا سيدى أن فى مثل هذه البنايات الضخمة نجد أن بعض الأشياء فى نفس المكان من كل مسكن .. كالنوافذ والأبواب والموقد وغير ذلك .. فموضعها متشابه فى كل غرفة .. مماثل للمسكن الذى يقع فوقها أو تحتها .

فتدخلت باميلا فى الحديث قائلة :

- ولكنها ملاحظة قليلة الأهمية يا مسيو بوارو ..

وأدرك بوارو ما تعنيه فتطلع إليها مبتسمًا .. ثم انتقل ببصره إلى هولمز .. وعاد يتطلع إليها مرة ثانية وقال :

- إن ما أرمى إليه يا آنستى هو أن يكون الإنسان دقيقًا فى التعبير بقدر الإمكان .. لأن لكل كلمة حسابها ومدلولها وما يترتب عليها من نتائج .. فإذا كان الأساس غير صحيح .. ذهب كل ما ينبنى من الفروض والنظريات والاحتمالات هباء منثورًا .

الفصل الخامس

حيرة وغموض

في تلك اللحظة وصل إلى سمعهم وقع أقدام غليظة فى الممر وأقبل رجال البوليس .

كانوا ثلاثة .. المفتش جانيمار .. وأحد رجال الشرطة .. والطبيب الشرعى .

وسرعان ما تعرف المفتش على المسيو بوارو .. فصافحه بحرارة وسرور .. وقدمه بدوره للطبيب .. ثم التفت لبقية الحاضرين وقال :

- أود أن أبدأ بسماع معلوماتكم .. كل على حدة .. ولكن أولاً ...

فقاطعه المسيو بوارو قائلاً :

- اقتراح متواضع يا حضرة المفتش .. هل تسمح لنا بأن نسبقك إلى مسكن الآنسة بات فى الطابق الأعلى .. لأن الآنسة كانت معتزمة عمل بعض «العجة» لأصدقائها .. ولا أخفى عنك أن لى ولعًا خاصًا بهذا النوع الشهى من الطعام .. وعندما تنتهى من فحصك الأول يمكنك أن تلحق بنا هناك .. وتسأل ما تشاء من الأسئلة .

ولم يمانع المفتش جانيمار فى هذه الرغبة فانصرف إلى الفحص بينما صعد المسيو بوارو والأصدقاء الأربعة إلى شقة بات التى قالت تداعب المسيو بوارو :

- إننى شديدة الإعجاب بك يا مسيو بوارو .. ويلذ لى سماع حديثك الذى يفيض بالدعابة البريئة .. ولذا سأقدم لك نوعًا فريدًا من «العجة» الشهية التى أجيد طهيها .

فأجاب بوارو :

- يا إلهى .. ما أعظم سرورى بذلك .. لقد أحببت يا آنستى ذات مرة فتاة إنجليزية صغيرة السن .. وكانت تشبهك تمامًا من كل الوجوه .. ولكن واحسرتاه .. فإنها ما كانت تجيد الطهى . وهكذا تهدمت أحلامى بالسعادة .. ومن يدرى فربما كان ذلك خيرًا لى .

وكانت لهجة بوارو يشوبها الحزن والأسف حتى استرعت انتباه لوبين فأخذ يحملق فى وجه المخبر السرى بدهشة واستغراب .

وبعد أن دخلوا المسكن .. وانصرفت بات لإعداد الطعام رفع المسيو بوارو قناع الاكتئاب .. وشرع يتدفق مرحًا ودعابة.

وعندما انتهوا من تناول الطعام وأتى المسيو بوارو على آخر عبارة أعدها للإشادة بمحاسن (العجة) التى طهتها يدا الآنسة بات الجميلتان رن جرس الباب .. فنهض هولمز وفتحه .. وعاد بصحبة المفتش جانيمار .. والطبيب .

وقال المفتش فى هدوء :

- لقد انتهينا من فحص كل شىء يا مسيو بوارو .. والمسألة واضحة جلية على ما يظهر .. أعنى أن ما توصلنا إليه حتى هذه اللحظة هو مجرد معلومات عامة .. فالمجنى عليها هى مدام أرنستين جرانت بلا ريب .. وقد تعرف عليها بواب البناية الذى حضر منذ برهة وجيزة .. وهى لم تتجاوز الخامسة والثلاثين من عمرها .. وكانت ساعة الحادث جالسة إلى المائدة الكبيرة التى تتوسط حجرة الجلوس .. وهناك أطلق عليها الرصاص .. رصاصة واحدة من مسدس أوتوماتيكى صغير الحجم .. يمكن وضعه فى الجيب بسهولة .. وكان القاتل يجلس إزاءها على المائدة .. ولذا فقد تمكن من إصابة هدفه بسهولة وعناية .. وسقطت الجثة إلى الأمام طبعًا .. وهذا هو السبب فى تلويث غطاء المائدة بالدماء .

فسأله بوارو :
- ولكن ألم يصل صوت الطلق النارى لسمع أحد ما ؟
فأجاب المفتش جانيمار :
- إن هذا النوع من المسدسات يسهل تركيب جهاز آلى كاتم للصوت فوق ماسورته فيحول دون تسرب الصوت إلى مسافة بعيدة تتجاوز الحجرة التى أطلق فيها الطلق النارى .. وبهذه المناسبة هل سمعتم الصرخة التى أطلقتها الخادمة عندما أيقظناها .. وأفضينا إليها بمقتل سيدتها ؟
فأجاب الجميع :
- كلا .. لم نسمع شيئًا ألبتة .
فقال المفتش جانيمار :
- هذا يفسر أيضًا السبب فى عدم سماع أحد صوت الطلق.. إن هذه البنايات الحديثة دائمًا محكمة الأبواب والنوافذ .. لأن الساكن الجديد يجعل أول مطالبه منع الضجة .
فسأله بوارو قائلاً :
- ولكن ألم تذكر الخادمة شيئًا عن الحادث أو ملابساته ؟
فأجاب المفتش جانيمار :
- كلا لم تذكر شيئًا .. لقد منحتها سيدتها أجازة هذه الليلة .. ولم تعد إلا قبيل العاشرة مساءً .. وكان كل شىء هادئًا على حالته .. وقد فتحت الباب بمفتاح خاص تحمله معها .. وكان كل شىء هادئًا على حالته الطبيعية .
- وهل لم تلق نظرة على حجرة الجلوس قبل أن تنام ؟ ..
- أجل .. كان صندوق الخطابات المثبت بالباب يحوى بعض الرسائل التى وردت ببريد المساء .. فحملتها الخادمة إلى حجرة الجلوس .. ووضعتها فوق المائدة حيث شاهدها المستر لوبين والمستر شرلوك هولمز .. وفيما عدا ذلك لم تلاحظ المسكينة شيئًا غير عادى لأن الجانى .. أو الجناة .. قد أحكموا إخفاء الجثة خلف ستار النافذة المسدل .
وحتى هذان السيدان قد فاتهما ملاحظة الجثة فى المرة الأولى لزيارتهما المسكن .. ولولا بقعة الدم التى لطخت يد المستر هولمز ما تنبها للحادث .. ولظل أمره مكتومًا حتى الصباح عندما تستيقظ الخادمة من سباتها العميق .. وتشرع فى تنظيف المكان .
وكان المسيو بوارو يفكر قليلاً أثناء حديث جانيمار .. فلما انتهى المفتش من تعليقه قال له :
- إنى أسأل نفسى .. أى هدف كان يرمى إليه الجانى بنقله الجثة إلى ما وراء الستار .. لماذا لم يتركها حيث صرعها وانتزع الحياة منها.. ألا يبدو الأمر غريبًا نوعًا ما ؟!
وكانت لهجة بوارو هادئة عادية لا تدل على شىء .. ولكن المفتش جانيمار أدرك أنها تخفى وراءها أمرًا معينًا .. فأجابه بنفس اللهجة :
- ربما أراد الجانى من ذلك أن يؤخر اكتشاف الجثة حتى تسنح له الفرصة الكافية للفرار .
فقال بوارو :
- ربما خطر ذلك بذهن الجانى .. أعنى ربما كان يقصد ذلك .. ثم ماذا يا سيدى المفتش ؟
فاسترسل المفتش جانيمار قائلاً :
- لقد ذكرت الخادمة أنها بارحت المسكن فى تمام الساعة الخامسة .. وظلت فى صحبة صديقتها .. إلى أن عادت فى الساعة العاشرة .. والدكتور يقرر أن الوفاة حدثت منذ أربع أو خمس ساعات

تقريبًا .. أليس كذلك يا سيدى ؟
وكان الطبيب قليل الكلام بطبعه .. فاكتفى بأن أومأ برأسه موافقًا . وأخرج المفتش ساعته وتطلع فيها ثم قال :
- الساعة الآن الثانية عشرة إلا خمس عشرة دقيقة .. ويمكننا على ذلك أن نحدد وقت ارتكاب الجريمة فى ساعة معينة .. ولقد عثرنا أيضًا على هذه الرسالة فى جيب القتيلة .
ثم أخرج من جيبه ورقة مطوية .. ودفع بها إلى أرسين لوبين وهو يقول :
- خذها واطلع عليها ولا تخش شيئًا .. فلم يكن عليها بصمات أصابع من قبل .
وتناول لوبين الرسالة وفضها ثم قرأها بصوت مرتفع :
« سأحضر لمقابلتك هذا المساء فى منتصف الساعة الثامنة ».
« ج . ف »
ثم ردها إلى المفتش وهو يقول :
- إنها مكتوبة بالحروف المطبعية الكبيرة كى لا يمكن الوصول لمعرفة شخصية مرسلها .. ورغمًا عن ذلك فمن المدهش أن تظل هذه الوثيقة فى جيب المجنى عليها بعد الحادث .. أمر غريب حقًا !!
فقال المفتش جانيمار :
- يغلب ظنى أنه لم يفتش هذا الجيب .. ولعله ظن أن السيدة قد أتلفت الرسالة بعد أن اطلعت عليها .. ولذا فلم يكلف نفسه مؤونة البحث عنها .
إن كل الأدلة التى عثرنا عليها تشير بوضوح إلى أن القاتل رجل ماهر بلغ من الذكاء مرتبة يحسد عليها .. فالمسدس الذى ارتكب به الجريمة عثرنا عليه ملقى تحتها .. ولكنه ترك عمدًا إذا لم تكن عليه بصمات أصابع .. وقد عنى القاتل بتنظيفه وإزالة ما عليه من البصمات والآثار بمنديله الحريرى.. وهو منديل مطرز بالخط الكبير وفى مكان ظاهر اسم شخص يدعى جون فريزر .
وكرر بوارو الاسم قائلاً :
- جون فريزر .. جون فريزر .. إن الحرفين اللذين وقعت بهما الرسالة ينطبقان على أول هذين الاسمين .
فقال المفتش متعجلاً :
- أجل .. أجل .. ولذلك قلت لك من بادئ الأمر إن المسألة ليست من الغموض بحيث تستحق اهتمامك يا مسيو بوارو .. فجون فريزر هو كاتب الرسالة .. وهو الذى حضر إلى المسكن فى منتصف الساعة الثامنة .. وارتكب تلك الفعلة الشنعاء .. ثم انصرف بعد أن ترك منديله الحريرى سهوًا بجانب جثة فريسته .. وأعتقد أننا متى أمكننا التحرى عن أقارب وأصدقاء السيدة جرانت فلن نلبث أن نعثر بينهم على جون فريزر هذا .. أو على الأقل ما يوصلنا إليه .
فقال بوارو متمهلاً :
- إننى .. يا عزيزى .. أعجب كثيرًا .. وأشك كثيرًا .. فى شخصية جون فريزر هذا .. ويخيل إلى أنه رجل غريب الأطوار.
- ماذا تعنى يا مسيو بوارو ؟
- أعنى أنه لا يمكن أن يجمع بين الدقة المتناهية التى تبدو فى تنظيف المسدس الذى ارتكبت به الجريمة وإزالة ما علق به من بصمات أصابعه .. وبين الإهمال - أو الغباء المتناهى - الذى أظهره

بتركه منديله الحريرى الذى يحمل اسمه الكامل مطرزًا فى حواشيه .. وبتركه أيضًا تلك الرسالة الموجهة منه إلى المجنى عليها والتى تدل صراحة على صلته بها .. ووجوده فى مسكنها ساعة حدوث الجريمة .. كيف أوفق بين ذلك الذكاء الحاد الذى يظهر فى ناحية .. وهذا الإهمال التام الذى يتضح فى ناحية أخرى .. حقًا إنه لأمر غريب .. ولابد أن المستر جون فريزر هذا رجل شاذ السلوك .. متناقض التصرفات .

فقال المفتش جانيمار وقد بدا القلق يستحوذ عليه :

- إن أذكى المجرمين .. وأوسعهم حيلة .. وأدقهم تدبيرًا قد يفقد أحيانًا رباطة جأشه بعد اقترافه جريمته ورؤيته منظر الدماء والجثة بشكلها المفزع .. لذلك لا تستبعد أن تراه يهمل شيئًا أو يسهو عن شىء آخر من هول الموقف .. ولاشك أيضًا أن طلب النجاة .. والرغبة الملحة فى الإسراع لمغادرة مكان الجريمة .. لهما أثرهما فى ترك الآثار والأدلة .

» » »

وكان لوبين فى شغل عن هذه المحاضرة الطويلة فقاطع المفتش قائلاً :

- هل شاهده أحد يدخل إلى البناية ؟

فأجاب المفتش :

- إن مثل هذه البنايات المتعددة الطبقات والتى تحتوى على عدد كبير من المساكن المستقلة فى كل طابق يصعب فيها مراقبة الداخلين والخارجين .. لأن مجرد انصراف البواب من مكانه بالباب .. ولو فترة صغيرة لداع من الدواعى أو ضرورة من الضرورات .. كفيل بأن يقلب كل احتمال ولا يجعل له أية قيمة .

ثم التفت إلى الأصدقاء الأربعة وقال لهم :

- أظن أنكم لم تلحظوا خروج أحد الغرباء من الطابق الثالث ! فأجابت بات :

- كلا .. لم نلاحظ شيئًا .. لأننا بارحنا مسكنى خارجين للنزهة والسهرة فى تمام الساعة السابعة .

فهز المفتش جانيمار رأسه .. ونهض على الأثر .. فلحق به المسيو بوارو وقال له :

- هل تتكرم علىَّ بخدمة صغيرة يا حضرة المفتش ؟

- بكل سرور يا مسيو بوارو .

- هل يمكننا الحصول على مفتاح الطابق الثالث لعمل بعض التحريات الخاصة ؟

- بالطبع يا مسيو بوارو .. وسوف يسر الرؤساء عندما يعلمون أنكم أبديتم اهتمامًا بهذه الجناية .. سأعطيكم أحد المفتاحين الخاصين بالمسكن .. ويمكنكم أن تذهبوا وقتما تريدون فليس به أحد .

- والخادمة ؟

- لقد رفضت أن تبقى بمفردها فى المسكن بعد أن حدثت به جريمة قتل .. إنها فى غاية الفزع والرعب .. وقد سمحت لها بالذهاب لبعض أقاربها ريثما يتم التحقيق .

» » »

وانصرف المفتش بعد أن أعطى بوارو أحد المفاتيح فشكره هذا شكرًا جزيلاً .

وعندما عاد نهض الأصدقاء والتفوا حوله مستفسرين .

قال له لوبين :

- يخيل إلى أنك غير مقتنع بكل ما قاله المفتش .

فأجاب المسيو بوارو فى صراحة تامة قائلاً :

- أجل .. لست مقتنعًا تمامًا .
فسأله هولمز بدوره :
وما سبب عدم اقتناعك ؟
ولم يجب بوارو عن هذا السؤال .. بل ظل ملتزمًا الصمت وهو مستغرق فى تفكير عميق .. ثم تنبه فجأة .. وهز كتفيه كما لو كان يجادل نفسه .. ثم التفت بعد ذلك إلى بات وقال لها :
- لابد أنك تعبة جدًا يا آنسة فاسمحى لى بالانصراف .. أسعدت مساء .
- ولماذا تتعجل الرحيل يا مسيو بوارو ؟
- لقد أجهدت نفسك كثيرًا فى صنع العجة الشهية .. وجدير بك أن تنالى قسطًا من الراحة .
فضحكت بات وقالت :
- ليس ثمة تعب .. إننى لم أعد عشاء كاملاً .. فقد حضر لوبين وباميلا مبكرين لزيارتى .. ولذلك لم يكن لدى الوقت الكافى لإعداد الطعام .. خشية أن يفوتنا موعد السينما .
فقال بوارو :
- وهل ذهبتم إلى المسرح بعد ذلك ؟
- أجل .. أجل يا مسيو بوارو .. لقد شاهدنا رواية «كارمين ذات العينين السوداوين» .. كم كانت جميلة !
فقال بوارو :
- إنها لتكون أجمل وأبهى لو أطلقوا عليها «الآنسة بات ذات العينين الزرقاوين الجميلتين» .
- وضحك الجميع لقوله هذا .. وألحت بات فى أن تبقى باميلا الليلة بجانبها قائلة فى صراحة إن أعصابها لا تقوى على بقائها بالمسكن منفردة بعد حادث الليلة .

« « «

انسحب بوارو على الأثر ولحق به لوبين وهولمز بعد أن ودعا الفتاتين بالمثل .. وأغلقا الباب .
وقبل أن يحاول أحدهما مصافحة المسيو بوارو قال هذا مقترحًا :
- لقد سمعتما أننى غير مقتنع بالأبحاث التى قام بها المفتش جانيمار .. بل لقد سألنى أحدكم عن موضع الغرابة وسبب عدم اقتناعى .
والآن أقول لكما فى صراحة إننى حصلت من المفتش على مفتاح المسكن .. وسأنزل إليه لأقوم ببعض الأبحاث الخاصة بمنتهى الحرية فهل يرغب أحدكما فى مرافقتى ؟
فقابلا اقتراحه بحماس عظيم لأن أهمية الجناية وعلاقتهما بها من ناحية .. وأهمية بوارو نفسه وطلاوة أحاديثه وأبحاثه من ناحية أخرى لا يسمحان لأى إنسان - فضلاً عن لوبين وهولمز - أن يترك مثل هذه الفرصة السانحة .

الفصل السادس

من القاتل؟

فتح بوارو باب مسكن القتيلة ودخل يتبعه زميلاه.. ولكنه لم يذهب إلى حجرة الجلوس حيث وقعت الجناية كما هو المنتظر .. بل اتخذ طريقه نحو المطبخ .. وشرع فى البحث من جديد .

وسرعان ما قفز فوق المائدة .. واقترب من رف كبير مثبت فى الحائط عليه آنية كبيرة .. فرفع غطاءها .. وأخذ يتفقد مافيها.. ولم يلبث أن أخرج يده منها وبها زجاجة صغيرة قاتمة اللون .. وصاح قائلاً :

- هأنذا قد عثرت على ما أريد .

ولفتت صيحة الظفر أنظار زميليه .. فأخذا يحدقان النظر فى الزجاجة تارة .. وإلى بوارو تارة أخرى .

ورفع هولمز الزجاجة إلى أنفه ثم قال :

- لعنة الله على الزكام .. لقد أفقدنى حاسة الشم ، ونزع عنها السدادة التى كانت تغطيها .. وتشممها مرة أخرى .

وفجأة ترنح فى مكانه وسقط أرضًا قبل أن تسمع أذناه صرخة التحذير التى أرسلها بوارو .

كان سقوط هولمز فجائيًا .. ولكن يقظة بوارو خففت السقطة وما كاد ينجم عنها من أضرار .

وهتف بوارو :

- يا لك من متهور .. هل ترفع السدادة هكذا مرة واحدة وتضع أنفك فى فتحة الزجاجة بلا حذر .. ألم تلاحظ كيف كنت أحاول ذلك بكل عناية وحذر ؟!

ولكن هولمز لم يجب عن هذه الملاحظة لأنه كان على أبواب الغيبوبة .

وصاح لوبين قائلاً :

- مسيو بوارو .. لقد أغمى عليه .

- هل تسمح لى بإحضار زجاجة «البراندى» الموضوعة فى حجرة الجلوس بجانب النافذة .. أذكر أننى لاحظت وجودها هناك .

وأسرع لوبين ليأتى بالزجاجة .. ولما عاد رأى هولمز جالسًا على الأرض يتحسس أطرافه بيده ويقول بخمول :

- لا شىء .. لا شىء .. إنى أشعر بتحسن .

واحتسى جرعة من الخمر التى قدمها بوارو .. ثم أخذ يستمع للمحاضرة الطويلة التى أخذ يلقيها عن شم الأشياء خصوصًا الزجاجات التى قد تحوى سمومًا قاتلة .

ودهش لوبين - فيما بينه وبين نفسه - لعدم فطنة هولمز .. وهو أمر غير عادى بالنسبة للبوليس السرى الشهير استرعى انتباه أرسين لوبين .

ونهض هولمز من مكانه بمساعدة زميليه وهو يقول :

- أرى أن أعود إلى منزلى مباشرة إذا لم تكن بحاجة لبقائى فما زلت أشعر بشىء من التعب .

فقال بوارو :

- فكرة بديعة .. هيا .. سأساعدك فى النزول .. وأرجو أن ينتظرنى المسيو لوبين قليلاً ريثما أعود .. يمكنك أن تستند إلى ذراعى يا مستر هولمز .

- كلا .. شكرًا .. يمكننى أن أسير بمفردى .

« « «

وصحبه بوارو حتى مدخل البناية حيث وقفا يتحدثان برهة غير قصيرة .. عاد بوارو بعدها إلى الطابق الثالث .

وهناك وجد لوبين واقفًا وسط حجرة الجلوس وقد انقبضت أساريره .. وظهرت على وجهه علامات التفكير العميق .

وما كاد يراه حتى قال له :

- والآن يا مسيو بوارو .. ما هى خطوتك التالية ؟

فأجاب بوارو :

- خطوتى التالية ؟ لا شىء مطلقًا .. لقد انتهت القضية .

- ماذا ؟!

- أعنى أننى عرفت كل شىء الآن .

فقال لوبين وهو فى حيرة من أمره :

- أتعنى الزجاجة الصغيرة التى عثرت عليها فى المطبخ ؟

- تمامًا .. إنها تلك الزجاجة الصغيرة .

- لست أفهم لهذه الحادثة بداية من نهاية .. وفى الوقت الذى أراك تعلن تذمرك من النتائج التى وصل إليها المفتش جانيمار وعدم اقتناعك ورضائك عنها .. إذا بك تعثر على زجاجة لست أدرى أى سم قتال تحويه .. كما أنى أجهل علاقة ذلك بحادثة قتل ارتكبت بمسدس .. ومهما يكن من الأمر فهذه التفاصيل لا تهمنى بقدر معرفة رأيك فى هذا المدعو جون فريزر مهما كانت شخصيته .

فأجاب بوارو مبتسمًا :

- أجل جون فريزر مهما كانت شخصيته .. وإذا اتضح أن هناك حقيقة شخصًا يحمل هذا الاسم .. فإن دهشتى ستكون أعظم .. بل وسأشرع آنذاك فى فحص القضية من جديد .

- ماذا تقول .. لست أدرى ما تعنى ؟!

- أقصد أن جون فريزر هذا ليس سوى حروف الاسم التى وجدناها مطرزة على المنديل الحريرى الذى تركه القاتل فى هذه الحجرة بجانب جثة فريسته .. إنه اسم على غير مسمى .

- وهل نسيت الرسالة الموقعة بالحروف الأولى من هذا الاسم .

- كلا .. لم أنسها .. ولكن هل لاحظت أنت بدورك أنها مكتوبة بالحروف المطبعية كى لا تنم عن شخصية كاتبها .

إن خط اليد يا عزيزى لوبين يمكن تتبعه والوصول إلى اليد التى حررته .. وكذا الكتابة على الآلة الكاتبة من السهل جدًا تتبعها والوصول إلى مصدرها .. ولكن كتابة الرسائل بالحروف المطبعية لا يسهل الوصول إلى شخصية كاتبها .. فلو أن جون فريزر هذا شخصية حقيقية معروفة تمامًا للمجنى عليها فما الداعى إذن لأن يتعمد إخفاء خطه فى الرسالة التى بعث بها إليها .. لابد أن هذين الخاطرين مرا بذهنه عندما شرع فى تحرير رسالته ولكنه تجاهلها عن قصد وتعمد إخفاء خطه الحقيقى كما تعمد ترك الرسالة فى جيب فريسته بعد أن قضى عليها ليعثر عليها رجال البوليس ويظنوا أن الفاعل هو جون فريزر الذى لا وجود له !!

إن القاتل الحقيقى قد أوحى لرجال البوليس بهذه الشخصية .. وأعد خطته ليقنعهم رغم أنوفهم بوجودها لكى يتركوا كل شىء .. ويجدّوا فى البحث عن جون فريزر هذا .. ويركزوا كل جهودهم فى ذلك السبيل .. بينما يكون القاتل الحقيقى فى مأمن من كل شبهة أو مظنة .

- إنك تذهلنى يا مسيو بوارو .

- الواقع أن لغتى الإنجليزية ضعيفة نوعًا ما .. ولكنى سوف أسرد الحقائق والملاحظات فى قالب واضح يتمشى وأصول المنطق .

لنعد معًا إلى البداية .. أتذكر فى بادئ الأمر عندما قلت إن هناك بعض الأشياء تظل محتفظة بموضعها الدائم فى جميع الظروف والأحوال .

لقد ضربت المثل بثلاثة أشياء وهى النافذة والباب والموقد فهى جزء من البناء لا يتغير فى الحجرات المتشابهة .. وكان من الممكن أن أضيف إليها شيئًا رابعًا هو مفتاح النور الكهربائى .

والواقع من منا لا يعلم أن مفتاح النور الكهربائى مثبت دائمًا فى الحائط بجانب الباب .

ومع ذلك فإن مستر هولمز عندما تركك فى المطبخ أول مرة شق طريقه إلى حجرة الجلوس .. واجتازها حتى وصل إلى المائدة الموضوعة فى منتصفها .. وأمسك بالغطاء المفروش فوقها .. فتلوثت يده بالدماء .

لماذا كل هذا العناء ؟

لقد سألت نفسى بالفعل هذا السؤال .. عندما سمعت هذه القصة لأول مرة .

لماذا يجتاز المستر هولمز حجرة الجلوس فى الظلام الدامس حتى يصل إلى المائدة التى فى وسطها بينما يوجد مفتاح النور الكهربائى على يمين الباب الذى مر به من المطبخ ؟!

إن موقع المفتاح الكهربائى بالباب يمثل تمامًا موقعه فى حجرة جلوس الآنسة بات .

وحتى إذا فرضنا أنه لم يلاحظ ذلك .. وشرع يبحث عن موضعه فجدير به أن يفعل هذا بمجرد مروره من الباب .. وهى الحالة الطبيعية التى تبدر من أى إنسان آخر فى الموقف نفسه .

إذن فقد حاول أولاً أن يضىء نور المطبخ ولم يوفق بدعوى أن به عطلاً .. مع أننى عندما حاولت ذلك بنفسى فيما بعد وجدته صالحًا للعمل ولا شىء به .. وبدلاً من أن يبحث عن مفتاح الإضاءة مرة ثانية بجانب باب حجرة الجلوس .. استمر يسير فى الظلام حتى وصل إلى المائدة .

وهنا يمكننا أن نسأل .. لأى غرض لم يضئ النور بالمطبخ وادعى أنه معطل ؟

والجواب على ذلك سهل واضح لأنه لا يريد أن يفعل ذلك .. فلو أنه أضاء نور المطبخ لتبين لكما فى الحال أنكما فى غير الطابق المقصود ولعدتما مباشرة إلى المصعد .. دون أن تسنح له فرصة لدخول حجرة الجلوس .

ولذلك فقد ادعى وجود العطل ليجعل من ذلك سببًا ينتحله ليدخل إلى تلك الحجرة .

وهنا قال لوبين يقاطع بوارو :

- ما هذا الاسترسال فى الاتهامات يا مسيو بوارو ؟ ماذا تعنى بكل هذا الحديث ؟!

فوضع بوارو يده فى جيبه وأخرج مفتاحًا صغيرًا وقال :

- انظر يا عزيزى .. هذا هو مفتاح الآنسة بات .. وقد اختلسه هولمز من حقيبتها قبل ذهابكم للسهرة .

- ولكن لماذا - بحق السماء - أقدم مستر هولمز على هذه الفعلة ؟!

- لكى يسبب كل المشاكل التى تجمعت عن ضياع المفتاح .. وتسنح له بالتالى فرصة للدخول إلى هذه الحجرة بطريقة مشروعة لا غبار عليها ولا تثير أية شبهة .. ولا شك فى أنه كان متأكدًا من ذلك عندما حضر إلى هذا الطابق مبكرًا .

- وأين عثرت على هذا المفتاح يا مسيو بوارو ؟

- فابتسم بوارو وقال :

- وجدته حيث كان يجب أن يكون .. وحيث توقعت وجوده .. وجدته فى جيب المستر هولمز !!

هل رأيت تلك الزجاجة الصغيرة التى تظاهرت بالعثور عليها والاهتمام بها ؟

إنها حيلة أوقعت بها هولمز .. وما كان له أن يتفاداها ؟

كانت الزجاجة فى جيبى عندما نزلت معكما .. وحين اعتليت المائدة .. تظاهرت بالبحث فى الآنية .. ثم أخرجتها من جيبى خفية وتظاهرت بالعثور عليها .

وكان من الطبيعى عندما قدمتها له أن ينزع سدادتها ويشمها وهذا ما أردته بالضبط .. لأنها تحتوى على «أول كلوريد الأثيل» وهو مخدر قوى يظهر أثره مباشرة .. وكانت اللحظة أو اللحظتان اللتان أوشك فيهما هولمز أن يفقد وعيه كافيتين لأن تتخذ يدى سبيلها إلى جيوبه حيث عثرت على الدليلين اللذين كنت أبحث عنهما .

- وما هما ؟

- الأول هو المفتاح .. مفتاح مسكن الآنسة بات الذى اختفى من حقيبتها فجأة ، والثانى هو .....

ثم تريث بوارو قليلاً وعاد فقال :

- هل تذكر أننى سألت المفتش جانيمار عن السبب الذى عمد القاتل من أجله إلى نقل الجثة من المائدة وإخفائها خلف الستار ؟ لقد أجاب المفتش بأن السبب هو إخفاء الجريمة مؤقتًا حتى تسنح للجانى فرصة كافية للفرار .

ولكنى كنت أعتقد أن هناك سببًا آخر .. واتجه خيالى إلى كومة الرسائل التى وصلت ببريد المساء .. والتى كانت ملقاة على المائدة .. تلك المائدة التى حاول هولمز أن يصل إليها فى الظلام .. فلو أن القاتل كان يبحث عن رسالة ما .. يتوقع وصولها فى بريد بعد الظهر .. فلابد من أن يعود مرة أخرى ليعاود البحث بعد أن يصل بريد المساء حوالى التاسعة والنصف .. ولهذا كان لابد من إخفاء الجثة مؤقتًا بحيث لا تراها الخادمة فتبادر إلى إخطار رجال البوليس .. وبذلك ينقطع كل أمل من وصوله إلى الرسالة التى يتوقعها وينتظرها بصبر نافذ .

وقد نجح فى تقديره هذا لأنه سار وفق الخطوات الطبيعية التى يقتضيها الموقف .. فالخادمة لم تشعر بالحادث .. ولما عادت بادرت بإحضار بريد المساء .. ووضعته على المائدة كالمعتاد لتراه سيدتها إذا بارحت مخدعها .

فسأله لوبين قائلاً :

- ولكن أى شىء كان يتوقعه القاتل فى البريد ؟!

فأخرج بوارو من جيبه رسالة وقال :

- كان يتوقع هذه الرسالة .. وهى الشىء الثانى الذى عثرت عليه فى جيوب هولمز مع المفتاح .

وتطلع لوبين إلى الظرف فإذا به مكتوب على الآلة الكاتبة ومعنون باسم السيدة أرنستين جرانيت .

فض لوبين الرسالة التى عثر عليها بوارو .. وأخذ يتلو ما فيها :

« سيدتى العزيزة :

إن الوثيقة التى بعثت إلينا بها صحيحة وقانونية من كل الوجوه وهى عبارة عن وثيقة زواج دونوفان بايلى من أرنستين جرانت .

وكون الوثيقة حررت فى بلاد أجنبية لا يؤثر فى قيمتها القانونية بأى حال من الوجوه » .

« وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

قال بوارو :

- وها هى الوثيقة التى كانت مرفقة بالخطاب .. ويرجع تاريخها إلى ثمانى سنوات :

هتف لوبين :

- عجبًا .. إننى لا أفهم شيئًا .. ما دخل مستر شرلوك هولمز بالمدعو دونوفان بايلى ؟! وكيف .. كيف ينحدر مثل هذا الشرطى العظيم إلى مثل هذا الدرك ؟!

فأجاب بوارو فى هدوء :

- إننى أشد عجبًا منك .. ولكن ما حيلتنا أمام الحقائق .. إن كل ما تستطيع أن تصل إليه «خلايا مخى الرمادية» هو أن المستر شرلوك هولمز قد انتحل اسم دونوفان بايلى عندما تزوج من السيدة أرنستين جرانت منذ ثمانية أعوام .. وأن ثمة مشاكل مالية مع السيدة كانت موضع خلاف بينهما .. ولاشك أن تهكم القدر هو الذى ساق السيدة أرنستين إلى نفس البناية التى تسكنها صديقتك بات .. وعندما أدرك هولمز أن الفرصة سانحة قتلها رميًا بالرصاص بعد أن علم أنها تتوقع ورود الرد من المحامى الذى بعثت إليه بوثيقة زواجها منه لتستشيره فى صحتها .. وبادر بإخفاء الجثة خلف الستار حتى لا ينفضح الأمر قبل أن يعود مرة أخرى ليفحص بريد المساء .. وبعد أن ارتكب جريمته صعد إلى مسكن الآنسة بات .. ثم خرج فى صحبتكم إلى حيث قضيتم السهرة معًا .. إننى أشعر بالأسف العميق لخاتمة هذا الشرطى العظيم .

صمت لوبين .. واستغرق فى التفكير .. ثم لم يلبث أن هتف:

- إن كلامك منطقى ومعقول .. ولكن ثمة حلقة مفقودة قد أستطيع العثور عليها .. هيا بنا .

فدهش مسيو بوارو وقال :

- إلى أين أنت ذاهب يا سيدى ؟!

فأجاب لوبين :

- إلى « شارع بيكر » حيث يقيم المستر شرلوك هولمز وصديقه الدكتور واطسن .

- ولكننى اضطررت للقبض على شرلوك هولمز وتسليمه للبوليس .

- لا بأس .. إننى أريد مقابلة واطسن .

» » »

دهش الدكتور واطسن حين فتح الباب ورأى لوبين .. وبوارو ... فهتف وهو يبتسم :

- مرحبًا بكما .. هذا لقاء تاريخى - وايم الحق - .. وإنى ..

ولكن لوبين قاطعه بسرعة :

- معذرة يا دكتور واطسن .. أين مستر شرلوك هولمز ؟

فازدادت دهشة واطسن لسلوك لوبين .. وأحس بأن فى الأمر شيئًا فأجاب على الفور :

- إنى آسف .. فإن المستر هولمز قد سافر منذ ثلاثة أيام برفقة وزير الداخلية للتحقيق فى أمر على جانب عظيم من الأهمية .. ولكنه ذكر لى أنه قد يعود اليوم أو غدًا على أقل تقدير .

فتبادل لوبين وبوارو النظرات .. ثم قصا على الدكتور واطسن ما حدث فانفجر ضاحكًا .. وهتف :

- ماذا .. شرلوك هولمز قاتل .. يا إلهى .. هذا أطرف ما سمعته فى حياتى حتى الآن .

واستغرق فى الضحك حتى طفرت الدموع من عينيه .

وقال لوبين :

- لقد ارتبت فى الأمر أخيرًا .. فاستنتاج المسيو بوارو صائب وسليم .. والحقائق واضحة لا شك فيها .. ولكن شخصية شرلوك هولمز لا تتفق بأى حال من الأحوال مع ما وقع من أحداث رغم أن الحقائق كلها تشير إليه بأصابع الاتهام .. ولقد استغل الوغد دونوفان زوج السيدة أرنستين التشابه العجيب بينه وبين مستر هولمز فضلاً عن استغلاله البارع للظروف المواتية التى أتاحت له فرصة التعرف على أخبارنا ..

فعاد الدكتور واطسن يقهقه ضاحكًا وهو يقول :

- ولكن ألا توافقنى على أن هذا الدونوفان كان من البراعة بحيث استطاع أن يخدع جبابرة المغامرات ؟!

فابتسم لوبين .

وتنهد بوارو ..

ثم انفجرا ضاحكين ..

الورقة الثالثة عشرة

حادث غريب

الفصل الأول

كانوا أربعة أشخاص قرروا الترفيه عن أنفسهم بلعبة البريدج .. وكان معهم هركيل بوارو .. حين غادروا صالة المطعم إلى غرفة خاصة فى « نادى لافندر » .

وتقدم الخادم من المستر بوارو يقول له :

- إنهم يطلبونك على التليفون يا سيدى .

وتوقف بوارو يفكر قليلاً .

كان يعتقد أن التليفونات فى مثل هذه الساعة لا تبشر دائمًا بالخير .

سأل الخادم .

- هل تعرف من يكون المتكلم ؟

فقال الرجل على الفور :

- إنه لم يذكر اسمه يا سيدى .. ولكنى أرجح أنه اللورد ميشنجهام فإنى أعرف صوته.. وقد أخبرنى أن الأمر عاجل ومهم.

فقال بوارو لأصحابه الثلاثة :

- احتفظوا لى بمكانى على طاولة اللعب .. ريثما أتصل بميشنجهام . وأرى ما يريده منى .

ومضى إلى غرفة التليفون .. وتناول السماعة وهو يقول :

- أهذا أنت يا ميشنجهام ؟

وأجابه اللورد من الطرف الآخر للخط :

- هل أنت مشغول الآن ؟

- كنت فى سبيلى لأشارك فى لعبة البريدج مع بعض الأصدقاء .

- وكذلك نحن .. ولكن القدر تدخل فبدل الموقف .. والذى أريد أن أعرفه الآن .. هل فى استطاعتك أن تأتى إلى شقتى حالاً فى الدور الثالث من عمارة كنجهام ؟

وسأله بوارو فى شىء من التردد :

- هل تريدنى أن أزورك الآن .. أم فى وقت آخر ؟

فأجابه اللورد :

- بل أريدك فى هذه اللحظة .. تعال فى أسرع سيارة تعثر عليها .. لقد حدث شىء لم نجد له حلاً ولا تفسيرًا .. وأظن أنك تستطيع مساعدتنا .. مع تقديم اعتذارى فى الوقت نفسه عن إزعاجك فى مثل هذه الساعة .

وأجاب بوارو :

- سوف أكون عندك بعد لحظات .

كان واثقًا أن اللورد ما كان ليستدعيه لولا حدوث شىء عجيب أثاره .. وجعله فى حيرة من أمره .

أعاد السماعة إلى مكانها .. وأرسل يعتذر لرفاقه بما طرأ عليه .. ثم غادر العمارة إلى الشارع حيث ركب سيارة أقلته إلى شقة اللورد .

» » »

لم تكن البناية التى يسكن فيها اللورد ميشنجهام كبيرة .. فقد كان الطابق الأرضى مؤلفًا من مخازن تجارية ، والطابق الأول مؤجرًا كمكاتب .. والثانى يستعمل للسكنى .. وأما الطابق الثالث فكان يشغله اللورد نفسه الذى كان يعتبر شقته ناديًا لأصحابه وأصدقائه .

« « «

أحس بوارو عند وصوله إلى البناية بأن الجو ليس على ما يرام .. فقد كان حارس البناية بادى القلق .. وعامل المصعد ضيق الصدر .. فكتم بوارو ما فى نفسه .. وقرر ألا يسأل أحدًا عن الأمر إلا بعد أن يجتمع بصديقه اللورد ويعرف ما عنده .

وقرع باب الشقة حين صعد به المصعد إلى الطابق الثالث . ففتح له الباب خادم اللورد وذهب به إلى المكتبة .. حيث أسرع اللورد ميشنجهام لاستقباله والترحيب به وهو ظاهر القلق والاضطراب .

وكان اللورد يجلس بجوار طاولة اللعب ومعه اثنان من أصدقائه .. وأما الرابع فكان غائبًا .

وهتف اللورد يقول :

- مسرور من قدومك يا بوارو .. لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ..

وأحنى بوارو رأسه .. ومد يده يصافح الرجلين .. وكان أحدهما (برت جورينج) الموظف فى وزارة الخارجية .. والثانى (السير مارتين فليبس) أحد أعضاء مجلس العموم .. وعضو كبير من الشركات التجارية .. وشخصية معروفة فى الأوساط المالية .

وقد لحظ (بوارو) .. منذ احتوته غرفة المكتبة .. أن فى الجو شيئًا .. وأن الأمر بالتأكيد يتعلق بالمقعد الرابع الفارغ .

سأل صديقه اللورد :

- ما الذى جرى ؟! .. إنى لا أراكم تلعبون !!

فأجابه اللورد :

- لقد حدث لنا شىء غير منتظر لم نجد له تفسيرًا حتى الآن .. فقد جلسنا نحن الثلاثة لنلعب البريدج مع صديقنا الرابع (كارتريت) ولابد أنك تعرف (رونى كارتريت) .

- طبعًا أعرفه .

- وعندما بدأنا نوزع الورق .. أقبل خادمى تومسون يدعو (كارتريت) إلى التليفون .. فاعتذر لنا وأسرع ليرد على المكالمة .. بعد أن أخذ أوراقه معه .. والتليفون كما تعلم موجود فى الغرفة المجاورة حيث نجلس للتدخين عادة .. وطبعًا كان لابد لنا بعد ذهابه من التوقف عن اللعب ريثما يعود .. وقد انتظرنا عودته فضاقت صدورنا لتأخره .. غادرت المكتبة لأستطلع أمره على الطاولة إلى جانب التليفون .. ولكنى لم أعثر له على أثر .

قرعت الجرس أطلب تومسون خادمى .. وسألته عنه .. فقال إنه لم يره ولم يشاهده يغادر الشقة .

وذهبت إلى الطابق الأول لأبحث عنه وأسال حارس البناية فإذا به يؤكد لى أن أحدًا لم يغادر البناية منذ ثلاثة أرباع الساعة .. لأنه لم يغادر مكتبه المطل على المصعد والباب الخارجى .. ولا يمكن أن يغادر البناية شخص ولا يراه .. ومع هذا فقد اختفى صديقنا (كارتريت) !!

فقال بوارو ضاحكًا :

- ولكنه لا يمكن أن يذهب بعيدًا بالتأكيد .

فقال اللورد :

- هذا يجعل العمل سهلاً .. ولكن تفضل بالعثور عليه .. فأنت تعرف تفاصيل هذا المكان .. فالطابق الأرضى عبارة عن مخازن مؤجرة أغلقت منذ ثلاث ساعات على الأقل .. والطابق الأول يشتمل على عدد من المكاتب أقفلت أبوابها أيضًا منذ الساعة السابعة .. وتحت شقتى هذه .. فى الطابق الثانى .. تسكن سيدة روسية تدعى مادترومى .. وهى غنية جدًا .. لها علاقات وثيقة بالطبقات الراقية .

وفى الطابق الثالث أعيش أنا .. فأين ذهب - والحالة هذه - رونى كارتريت ؟

- هل يعرف كارتريت السيدة الروسية ؟

- أنا واثق أنه لا يعرفها .. لأنى أذكر أنه لم يكن على علم حتى باسمها .. ثم إن هذه السيدة تعيش حياة هادئة جدًا .. ولا تغادر شقتها إلا نادرًا .. فأين ذهب صاحبنا بحق السماء .. وكيف غادر البناية دون أن يراه أحد من الخدم ؟

فقال بوارو :

- دعنى أقوم بالتحقيق علىطريقتى .

وتقدم بوارو فجلس فى مقعد كارتريت حول الطاولة .. ثم تناول سيجارة فأشعلها .. وتحرك من مكانه كمن دعى إلى التليفون .. تمامًا كما فعل كارتريت .. واتجه نحو الرواق الذى يوجد فيه التليفون .. وفوق الطاولة إلى جانب التليفون شاهد أوراق اللعب التى حملها كارتريت معه .

تفحصها باهتمام .. فإذا بها تنقص ورقة واحدة ..

انحنى برأسه ينظر تحت الطاولة فلم يجد الورقة الناقصة ..

تلفت يمينًا وشمالاً لعله يجدها فوق السجادة فلم يكن أكثر حظًا .

أعاد الأوراق إلى مكانها .. ثم رفع السماعة .. وهتف :

- ألو .. ألو ..

ولكن أحدًا لم يجبه .

حرك التليفون بيده فلم يسمع صوتًا .

نادى تومسون الخادم وسأله :

- هل كان هذا التليفون يعمل حين دعوت المستر كارتريت ليتصل بصاحب المكالمة التليفونية ؟

فقال الخادم :

- طبعًا يا سيدى .. كما أنه ليس هناك تليفون غيره فى الشقة إلا التليفون الموجود فى غرفة نوم اللورد .. وهو متصل به .. وليس مستقلاً عنه .

فقال بوارو :

- إذن اذهب وتأكد فيما إذا كان التليفون الموجود فى غرفة نوم اللورد صالحًا للاستعمال .

- أمرك يا سيدى .

وذهب الخادم .. وعاد بعد دقائق يقول :

- إنه معطل .. ولابد أن العطل طرأ منذ وقت قصير .

فقال بوارو :

- ولكن كيف اتصل اللورد بى فى النادى وحدثنى ؟

- لقد حدثك من التليفون الموجود فى غرفة حارس البناية فى الطابق الأول عندما ذهب يسأله فيما إذا كان قد شاهد المستر كارتريت يغادر البناء أم لا .

- هل أنت واثق أن (كارتريت) كان يتكلم بالتليفون .. وأن الجهاز لم يكن معطلاً حين كان يتكلم فيه ؟

- بالتأكيد يا سيدى .. فأنا أول من أجاب على جرس التليفون .. وقد سمعت شخصًا يطلبه .. فدعوته .. وسمعت صوته يتحدث مع هذا الشخص .

- وهل سمعت شيئًا من حديثه ؟

- لا يا سيدى .. ليس من عادتى أن أستمع إلى أحاديث الآخرين .

فهز هركيل بوارو رأسه وقال :

- هل شاهدت المستر كارتريت مضطربًا قلقًا فى أثناء حديثه فى التليفون أو قبل هذا بقليل ؟

- لقد كنت مشغولاً يا سيدى بتنظيف المائدة .. ولكنى سمعته يتحدث .. وحين غادرت غرفة المائدة بعد دقيقتين لم أجده فى مكانه عند التليفون .

- هل أخذ معه معطفه وقبعته ؟

- لا يا سيدى فهما لا يزالان هنا .. وأقول لك بصراحة إنه من الصعب عليه مغادرة البناية بدونهما لأن الليلة باردة كما تعرف .

فقال بوارو :

- إذا كان الأمر كذلك فمعنى هذا أن المستر كارتريت لا يزال فى البناية .. وإننا إذا قمنا بتفتيشها فقد نعثر عليه .

الفصل الثانى

تحريات بوارو

سأل اللورد صديقه حين أقبل عليهم :

- هل من جديد ؟

فأجابه بوارو :

- أنت على حق .. فقد اختفى كارتريت .. ولكن معطفه وقبعته لا يزالان فى شقتك .. ومعنى ذلك إنه لم يغادر البناية .. وأنه لا يزال فيها .. ولتعلم أيضًا أن تليفونك قد تعطل نتيجة قطع سلوكه .

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض .. وقد بدت إمارات الدهشة على وجوههم .

وقال جورينج بعد قليل :

- مسيو بوارو .. لقد انتهى عهد العجائب .. ولابد أن يكون لكل هذه الأمور تفسير معقول طبعًا .

فأجابه بوارو :

- طبعًا يجب أن يكون لكل هذا تفسير معقول .. وأعتقد أنه يحسن بنا أن نبدأ بالتفتيش عن صاحبنا فى شقة اللورد .. تفضلوا بالقيام بهذه المهمة .. حتى إذا لم نعثر على أثر له هنا كان لنا حديث آخر .. وسأذهب فى هذه الفترة لمقابلة حارس البناية لأتحدث إليه .. ثم أزور شقة السيدة الروسية .. عسى أن أعثر عندها على أثره .. أو أسمع منها خبرًا .

ووافق الثلاثة على القيام بتفتيش شقة اللورد .

وذهب بوارو لمقابلة حارس البناية .. وتأكد من الحديث الأول الذى دار بينه وبين هذا الحارس أنه ليس من الأشخاص الذين يمكن اتهامهم بالتهاون والإهمال .. فقد كان رجلاً قويًا نشيطًا .. ظاهر الصدق والإخلاص .. وقد أكد لبوارو أن أحدًا لم يغادر البناية .. أو ينزل بالمصعد .. منذ حضور الرجال الثلاثة الذين جاءوا لزيارة اللورد فى شقته .

كما أنه لم يترك مكانه فغرفته الواقعة أمام الباب الخارجى فى مواجهة المصعد إلا مرة واحدة .. حين نزل اللورد ميشنجهام لسؤاله عن صديقه .. وفيما إذا كان شاهده يغادر الشقة أم لا ؟

وصعد بوارو إلى الطابق الأول برفقة حارس البناية .. وأخذ يفحص المكاتب الموجودة فيه .. فوجد الأبواب مغلقة والظلام حالكًا . هز رأسه فى حيرة .. ثم سأل الرجل بعد أن عاد معه إلى الغرفة :

- أى قوم يسكنون هذه المكاتب .. وهل هم جميعًا من أهل الثقة والأمانة ؟

فقال الحارس :

- لو لم يكونوا كذلك لما سمح لهم بالبقاء هنا .. فعندنا المستر هوب المحامى .. وهو يشغل أحسن مكتب عندنا .. وقد شاهدته يغادر مكتبه هذا المساء .. وكذلك فعل الموظفون الذين يعملون عنده .

وهناك المستر سميسون وهو من وكلاء الأفلام الأمريكيين .. ويقيم عندنا منذ ثلاث سنوات .. وقد غادر البناية هو وسكرتيرته فى السابعة مساءً .

وهناك أيضًا محام آخر .. المستر سوايل .. والمستر ميشيل والأخير من هواة جمع الآثار الشرقية .. والفراء الغالى .. ولا أكتمك أن كل واحد منهم قدم شهادة حسنة تثبت سلامة عمله .. وكرم أخلاقه قبل أن يوافق صاحب البناية على عقود الإيجار.

فقال بوارو :

- إذن فالمستأجرون الذين يبقون فى البناية وينامون فيها هم اللورد ميشنجهام .. والسيدة الروسية .. وبهذه المناسبة ماذا تعرف عنها ؟
- إنها أرملة روسية .. وهى امرأة محترمة وذات مقام مرموق فى الأوساط الأرستقراطية .. وهى نادرًا ما تغادر شقتها .. وإن كانت تستقبل الكثيرين من أصحاب المراكز العالية وكبار الطبقة الأرستقراطية ..وهى امرأة كريمة .. لم نشاهد مثلها كرمًا وأخلاقًا وحسن معاملة .
- كم عندها من الخدم ؟
- شابة رقيقة صغيرة السن هى وصيفتها الخاصة .. والخادمتان .. وثلاثة خدم من الرجال .
- إذن فهى ليست فقيرة ؟
فقال الحارس :
- بل هى من الأغنياء بالتأكيد .. تصرف ببذخ وكرم على منـزلها وملابسها .. كما تملك سيارتين .. ولها مقصورة فى الأوبرا .. وتنفق عن سعة مما يقطع أنها تملك ثروة ضخمة .
وفكر بوارو قليلاً .. ثم أخرج من جيبه ورقة مالية أعطاها للحارس وهو يقول :
- هل لك أن تنبئنى من قطع عندك السلك الخاص بتليفون اللورد ؟

« « «

ونظر الحارس إلى تليفونه .. وإلى الأسلاك المتصلة به التى تمتد إلى التليفونات الخاصة فى البناية .. فوجد السلك الخاص بتليفون اللورد ميشنجهام مقطوعًا .. ففغر فاه من الدهشة وصاح بصوت مرتجف :
- يا إلهى .. لقد كان على خير ما يرام حين اتصلت به لآخر مرة .
فقال بوارو :
- يا إلهى .. لقد كان على خير ما يرام فى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين .. لأن اللورد اتصل بى فى M نادى لافندر L .. وتحدث إلى .. فمن الشخص الذى زارك أو وقف عندك بعد ذلك ؟
أخذ الحارس يعصر ذهنه .. وهو بادى الحيرة والدهشة .. ثم قال :
- لم يمر بى أحد غريب .. لقد كنت أنا ووليم عامل المصعد هنا ثم غادرت وصيفة السيدة الروسية البناية ومعها الكلب ليأخذ حظه من الرياضة قبل موعد النوم .. وهذا ما تفعله كل مساء .. وقد تبعها أحد الخدم وأشعل سيجارة .. ثم وقف ينتظرها فى الشارع .. وأؤكد لك يا سيدى أنه ما من أحد على الإطلاق قد خرج أو دخل فى تلك الفترة .
فقال بوارو :
- لنترك الأمر عند هذا الحد .. إننا نجهل الشخص الذى قطع سلك التليفون .. وهذا طبعًا أحد أسرار هذه القضية .. ولننتقل الآن إلى موضوع آخر .. أنت رجل عاقل ذكى كما يبدو لى .. وقد اطلعت على تفاصيل هذه القضية .. وكيف اختفى المستر كارتريت .. الذى تؤكد أنه لم يغادر البناية .. فإذا كان الأمر كذلك فأين تظنه قد ...
- من يدرى، لعله ألقى بنفسه إلى الشارع من إحدى النوافذ .. إنى لا أستطيع التفكير بطريقة أخرى تبرر أو تفسر اختفاءه .. وهناك شىء آخر .. لعله صديق السيدة الروسية .. وقد تكون المكالمة التليفونية منها .. ربما دعته لمقابلتها فلبى الدعوة .. وأصيب عندها بمرض أو ما شابه ذلك ولا يزال عندها .

هذه نظرية بعيدة الاحتمال يا سيدى .. ولكنها النظرية الوحيدة التى تفسر اختفاءه دون أن أراه أو أشعر به .

فقال بوارو :

- أنت على حق.. هل ستبقى فى مكانك الآن بعض الوقت؟

- سوف أبقى هنا حتى تغادر البناية .. وسأنتظرك مهما تأخرت .

فشكره بوارو وركب المصعد إلى شقة اللورد .. حيث وجد الجميع فى انتظاره .. وحيث أخبره اللورد أنهم بحثوا فى كل ركن فى الشقة فلم يعثروا على أثر لصديقهم فيها .

فقال بوارو :

- مادام الأمر كذلك فلم يبق أمامى إلا زيارة السيدة الروسية وسؤالها عن صديقنا .

فقال بوارو :

- الأفضل أن نشرب قدحًا لأن الساعة الآن الحادية عشرة .. وزيارة السيدة الروسية فى مثل هذه الساعة المتأخرة تحتاج إلى أعصاب قوية .

شرب بوارو القدح الذى قدمه له ضيفه .. وسأله فيما إذا كان واثقًا من أن (رونى كارتريت) لم يكن ضيق الصدر .. مهددًا ببعض المشاكل والمتاعب .. فأجابه اللورد بالنفى .. وأن صديقه كان فى أطيب حال .

وهز بوارو رأسه وقال :

- إذن سوف أذهب لزيارة السيدة الروسية بعد أن أصبحت شقتها ملجأنا الوحيد .

وفيما هو فى طريقه إلى شقة السيدة الروسية تبادر إلى ذهنه أن سر اختفاء (كارتريت) يختفى خلف بابها .

ولكنه ما لبث أن عاد يسأل نفسه عن السبب الذى يدعوه إلى هذا الاعتقاد.. مادام كارتريت - باعتراف اللورد - لا يعرف السيدة الروسية ولا شاهد وجهها .

ووصل إلى شقة السيدة .

وقرع الباب .

وفتح له خادم فى ملابسه الرسمية .

سأله بوارو :

- هل السيدة موجودة ؟

وبدت الدهشة على وجه الخادم وقال :

- السيدة فى المنزل طبعًا .. ولكنها لا تستقبل أحدًا عادة إلا بناء على موعد سابق .. فهل أنت على موعد سابق ؟

فقال بوارو :

- إن زيارتى غير منتظرة .. قدم لها بطاقتى .. وأخبرها أنى أريد حديثًا معها .

وذهب الخادم بالبطاقة وهو بادى العجب .. وسمع بوارو صوتًا نسائيًا يتحدث مع امرأة أخرى .

ثم أقبل الخادم يدعوه إلى الدخول .

الفصل الثالث

السيدة الروسية

كانت الغرفلة الواسعة التى أخذه الخادم إليها دافئة جدًا وقد جلست فيها السيدة الروسية على مقعد وثير .. وبدت أنها أرستقراطية حقًا بشعرها الأبيض .. وعينيها السوداوين .. وقد ارتدت فستانًا بسيطًا أسود اللون .. وزينت عنقها ببعض الجواهر الغالية .

وقال بوارو حين دخل إلى الغرفة :

- ينبغى أن أعتذر لهذه الزيارة المتأخرة يا سيدتى .. ولكنى أقدر أنك سوف تقبلين عذرى وتقدرين موقفى .. حين تعلمين الغاية منها .

وقالت السيدة الروسية بصوت رقيق ونبرة أجنبية :

- طبعًا .. طبعًا .. تفضل بالجلوس .

ثم أشارت إلى وصيفتها الجميلة وقالت :

- هذه وصيفتى .. وأظنك لا تمانع فى حضورها .. ما الذى تريده منى يا سيدى فى مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

فقال بوارو :

- سوف يبدو غرضى غريبًا بالتأكيد .. ولكنك ستقدرين موقفنا حين أحدثك بالقصة .. لقد دعا صديقى اللورد ميشنجهام الذى يشغل الطابق الذى يقوم فوق شقتك ثلاثة من أصدقائه لمشاركته فى لعبة البريدج .. وفيما كانوا يلعبون رن جرس التليفون يطلب أحدهم .. وهو المستر كارتريت .. فذهب هذا إلى التليفون وتحدث قليلاً .. ثم اختفى من الشقة .. منذ ساعة ونصف تقريبًا .. تاركًا معطفه وقبعته فى الشقة .. وقد أكد خادم البناية وعامل المصعد .. أنهما لم يشاهداه يغادر البناية .. كما أكد خادم اللورد عدم رؤيته وهو يغادر الشقة .. وقد فتشنا شقة اللورد تفتيشًا دقيقًا فلم نعثر له على أثر .. وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن صديقنا لا يزال فى البناية نفسها لم يغادرها .

قالت السيدة الروسية وقد بدت الدهشة على وجهها :

- هذه قضية غريبة حقًا .

- هو ما تقولين يا سيدتى .. إن كارتريت صديقنا لم يغادر البناية وهو ما نحن على ثقة منه .. وليس فى البناية غير ثلاثة طوابق .. الطابق الثالث الذى يسكنه اللورد .. وقد فتشناه فلم نعثر لصديقنا على أثر .. والطابق الثانى الذى تقيمين فيه .. ثم الطابق الأول وهو المؤلف من مكاتب غادرها أصحابها جميعًا وأقفلوا أبوابها .. وإذن فلم يبق أمامنا إلا شقتك أنت يا سيدتى .. ولهذا أرجوك أن تسمحى لى بتفتيش الشقة بمساعدة خدمك.

واشتدت الدهشة بالسيدة .. ولاذت بالصمت لحظة .. ثم قالت :

- هذا غير معقول يا مسيو بوارو .. إنى أؤكد لك أن أحدًا لم يطرق بابى هذه الليلة .. كما أنى لم أترك مكانى هذا .. ولتعلم أنى لا أستقبل إلا نخبة مختارة من الناس .. ولا أعرف صديقك هذا ولم أسمع باسمه .. فلماذا تعتقد والحالة هذه أنه يمكن أن يكون فى شقتى ؟!

- إنى أوافق على كل ما تقولين يا سيدتى .. وأظنك توافقين أيضًا على أن الإنسان لا يمكن أن يتبخر فى الهواء .. وأن صديقى لابد أن يكون فى مكان ما من هذه البناية .. وقد فتشنا كل مكان فيها إلا شقتك هذه .

ونظرت السيدة الروسية إلى بطاقة هركيل بوارو وقالت :

- إنى أذكر اسمك يا سيدى فقد سمعت به .. لابد أنى قرأت عنك فى الصحف .. أو أنك من الذين يكتبون فى الصحف .
فقال لها وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :
- إنى أكتب نادرًا بعض المقالات عن الإجرام والمجرمين .. ولكنى أعرف الكونتس مونتزينى .. وأعتقد أنها إحدى صديقاتك .
- عزيزتى أولجا .. طبعًا إنها إحدى صديقاتك .
- عزيزتى أولجا .. طبعًا إنها صديقتى .. افعل ما تريده يا مستر بوارو .. اقرعى الجرس يا آنا .. وليأت جرويلينج لمساعدة هذا السيد فى مهمته .
ووقف بوارو فى مكانه معتذرًا شاكرًا .. ووعد السيدة الروسية ألا يثقل عليها كثيرًا .. وأن يعمل على إنهاء مهمته بأقصر ما يكون من الوقت .
وأقبل الخادم .. ولم يكن بوارو قد شاهده قبلا .. وعرف من حديثه وحديث السيدة معه أنه كبير الخدم .. وقد بسطت السيدة أمامه مهمة بوارو فلم يفصح وجهه عن عجب أو دهشة .. وأشار إلى بوارو قائلاً : تفضل معى يا سيدى .

» » »

ومضى بوارو معه يفتش الغرف المختلفة .. من غرفة السيدة إلى غرفة الخدم .. نظر تحت الأرائك .. وفتح الخزائن .. وأزاح كل الستائر .. ولكنه لم يعثر على أى أثر لكارتريت .. ولا على شىء يدل على أن شخصًا قد دخل إلى المنزل .
وقال الخادم :
- لقد شاهدت كل شىء يا سيدى .
فأخرج بوارو من جيبه جنيهًا .. ووضعه فى يده . فهز الخادم رأسه شاكرًا .. ثم تقدمه إلى الصالون حيث كانت السيدة بانتظاره .. فلما شاهدته هتفت :
- هل عثرت على صديقك تحت سريرى .. أو بين ثيابى .. لابد أنه جميل الصورة حتى يأتى للاختفاء عندى .
وقال بوارو معتذرًا :
- من المؤكد أن صديقى لم يحاول التسلل إلى هذه الشقة .. فأرجو المعذرة يا سيدتى على إزعاجى لك فى مثل هذه الساعة .
وتقبلت السيدة الروسية عذره .. ومدت يدها فقبلها .. ومضت الوصيفة معه ترافقه إلى الباب والسيدة تقول :
- حاول أن تزورنى مرة ثانية .. خصوصًا بعد أن تعثر على صديقك لتقص على قصته .. وكيف تمكن من الاختفاء دون أن يترك أى أثر خلفه .
فقال بوارو :
- سوف أفعل بالتأكيد .. فمن حقك أن تعرفى نهاية هذه القصة الغريبة .

» » »

ومضى بوارو نحو الباب وقد تضاعفت دهشته .. واشتد عجبه .
كيف اختفى (كارتريت) دون أن يترك أثرًا خلفه ؟!
كان واثقًا أنه ليس موجودًا فى منزل السيدة الروسية .. ولا فى شقة اللورد .

لم يبق هناك إلا مكاتب المستأجرين فى الطابق الأول .. وهؤلاء قد غادروا مكاتبهم منذ ساعات .. وقبل وصول أصدقاء اللورد إلى منـزله .

وفجأة تسمر فى مكانه وقد تملكه انفعال جارف .

على حين بغتة .. وبينما كان فى طريقه إلى باب الخروج شاهد طاولة صغيرة .. عليها زهرية فيها بعض الورود .

وتحت هذه الزهرية .. وفى ظلها .. أبصر ورقة تكسرت أطرافها بحيث كان من المستحيل أن يعرف المرء ما تكون من بعيد .

أحنى رأسه متظاهرًا بشم الورود .. وفى اللحظة نفسها امتدت يده بخفة إلى الورقة فأصبحت فى راحته .. دون أن تفطن السيدة إلى حركته .

وفيما كان الخادم يفتح الباب له دسها فى جيبه بهدوء وعلى شفتيه ابتسامة بريئة .. ساذجة !!

الفصل الرابع

الورقة الثالثة عشرة

الثلاثة فى انتظاره .. حين عاد إلى المكتبة .

وكانت الأوراق لا تزال على الطاولة .

صاح اللورد يسأله :

- ما الخبر ؟!

فقال بوارو :

- أدركنى بقدح من الصودا أولاً .

فأسرع مضيفه بتلبية طلبه وهو يقول :

- هل عثرت على شىء ؟

فقال بوارو :

- لست أدرى .. دعونى أفكر قليلاً .. كما أرجو أن تعدوا أوراقكم .

وتقدموا نحو الطاولة يعدون أوراقهم .. وقد أدهشهم طلبه وقال كل واحد منهم أخيرًا إن معه ثلاث عشرة ورقة من أوراق اللعب .. وهو العدد الذى يوزع عادة على لاعبى البريدج .

وأخرج بوارو أوراق كارتريت .. وكان قد حملها معه من فوق الطاولة بجانب التليفون حين عاد منذ قليل بعد زيارته لشقة السيدة الروسية .

وعد الأوراق فوجدها اثنتى عشرة ورقة .

ومن جيبه أخرج الورقة التى تكسرت أطرافها والتى عثر عليها فى صالة السيدة الروسية وهو يقول :

- هذا هو عدد أوراق كارتريت .. إنها ثلاث عشرة ورقة إذا أضفنا طبعًا هذه الورقة الممزقة .

صاح اللورد يقول وهو يتناول الورقة الممزقة :

- ما الذى تعنيه بهذا الكلام ؟

فقال بوارو :

- مهلاً .. مهلاً .. سوف أفسر كل شىء .. دعونى أتأكد من كلامى أولاً .. إن الورقة الممزقة التى بيدك يا ميشينجهام هى الاثنان الكوبا .. فهل يملك أحد منكم مثل هذه الورقة ؟

وقال اللورد :

- إنها ليست بين أوراقى .

- ولا بين أوراقى .

- ولا أنا أيضًا .

فقال بوارو :

- إذن فهذه الورقة هى التى كانت مع كارتريت حين تم توزيع الورق على الجميع .. فلما طلبوه على التليفون غادر المكتبة حاملاً أوراقه معه .. وعندما غادر المكان احتفظ بهذه الورقة فى يده وترك الأوراق الأخرى إلى جانب التليفون .. وقد وجدت إثنتى عشرة ورقة بالقرب من التليفون .. أما الورقة الثالثة عشرة فقد عثرت عليها فى صالة السيدة الروسية .

عمت الدهشة الجميع .. حتى إن بعضهم لم يفطن إلى خطر ما قاله صديقهم لأول وهلة .

وصاح ميشينجهام يقول :

- ما الذى دعاه للذهاب إلى شقة السيدة الروسية .. دون أن يقول كلمة .. أو ينذرنا بأنه فى سبيله إليها ؟!

وقال آخر :

- ثم لا يعود إلينا .

وقال ثالث :

- ألا يزال عندها ؟

فقال بوارو :

- إنه ليس عندها بالتأكيد .. لقد دهشت السيدة حين زرتها .. ولكنها ما كادت تدرك رغبتى فى البحث عن الرجل الذى اختفى حتى دعت خادمًا ليصحبنى فى تفتيش شقتها .. وقد فتشتها فعلاً فلم أعثر على أثر لصديقنا .. وبينما كنت فى سبيلى لمغادرة المكان شاهدت هذه الورقة تحت زهرية عليها بعض الورود .. فوضعت يدى عليها دون أن يفطن أحد إلى حركتى .. ومع أن السيدة قد أكدت لى أنها لا تعرف صديقنا كارتريت ولا شاهدت وجهه .. وأنه لم يزرها زائر منذ ساعات .. فإن وجود هذه الورقة فى صالتها - وهى ورقة صديقنا - يقطع بأنه كان عندها .. وإلا فكيف تفسرون وجود هذه الورقة فى صالون السيدة الروسية ؟

وقال اللورد :

- إن كلامك هذا يبعث على الجنون .

- هذا ما أعتقده أنا أيضًا .. وعلينا الآن أن نذهب إلى حارس البناية .

وهتف جورينج :

- أيمكن أن يكون قد قفز من النافذة إلى الخارج ؟

فأجابه بوارو :

- إن كارتريت رجل عاقل .. ومن المستحيل أن يقفز من النافذة إلى الشارع والمسافة بينهما لا تقل عن ستين قدمًا .. ومع هذا فسنذهب إلى الشارع للتأكد من استحالة هذا الاحتمال ..

وغادر الأربعة الشقة فى طريقهم إلى غرفة حارس البناية .

وسأل اللورد مسيو بوارو :

- ما رأيك أنت فى هذه القضية .. هل عندك فكرة تفسر هذه الأحاجى والألغاز ؟

- فكرة غامضة .. وينبغى أن أتأكد منها .

وحين وصلوا إلى الطابق الأرضى سألهم عامل المصعد :

- هل من جديد ؟!

فقال بوارو :

- لا .. لم نتوصل إلى شىء حتى الآن .

وهتف حارس البناية :

- هل عثرتم على السيد كارتريت ؟

فأجاب بوارو :

- لا .. لم نعثر عليه .. لا تترك مكانك .. سوف ندور حول البناية قليلاً ثم نعود .

« « «

وأخذ بوارو يفحص الأرض .

لو أن كارتريت قفز من النافذة .. وهو أمر مستحيل .. لترك أثرًا خلفه أو أصاب نفسه برضوض .. مما يحتم حمله إلى المستشفى .. فضلاً عن تدخل رجال البوليس .

وحين وصل إلى الرصيف القائم تحت شقة السيدة الروسية نظر إلى النور المنبعث من نوافذها .. ثم سأل حارس البناية عن الغرف التى تقع تحت شقة السيدة الروسية مباشرة .. فذكر له الرجل أنها للمستر ميشيل .. الذى يتاجر فى بيع الآثار الشرقية والأصواف والفراء النادر .

سأله بوارو : ما الذى تعرفه عنه ؟

فقال الحارس : إنه من الغرباء .. رجل طويل القامة .. غزير اللحية .. وقد استأجر هذه المكاتب .. بعد أن قدم التوصيات اللازمة المقبولة ودفع إيجارًا لمدة ثلاث سنوات .. وهو يحتفظ بكاتبين وموظفة للآلة الكاتبة .

« « «

وعاد الجميع أدراجهم إلى البناية وصعد بوارو مع أصدقائه إلى الطابق الثالث .. بعد أن أكد على حارس البناية أن يكون حذرًا .. وأن يفتح عينيه .. وألا يسمح لأحد بمغادرة الشقة بأى حال من الأحوال .

ووعده الحارس بأن يفعل ذلك.. وأن يكون عند حسن ظنه.

الفصل الخامس

أحداث مثيرة

حين وصل الأصدقاء الأربعة إلى شقة اللورد .. سأل بوارو صديقه فيما إذا كان يملك مسدسًا ومصباحًا كهربائيًا .. فأجابه بالإيجاب .. وقدم له المسدس .. والمصباح الكهربائى .. وسأله :

- ما الذى تنوى عمله ؟!

- أريد أن أجرب حظى .. ولكم بعد هذا أن تبقوا هنا أو تأتوا معى .. كل ما أريد عمله هو التنقيب خلف أبواب مكاتب المستر ميشيل هذا .. فإذا لم يكن هناك أحد عدنا من حيث أتينا.

وذهب الجميع معه .

لم يكن واحد منهم يريد البقاء مكانه .. بعد هذا الجو الذى غمرهم .. فأفسد عليهم سهرتهم .. وجعلهم لا يعرفون ما يفعلون .

« « «

ولما وصلوا إلى الطابق الأول حيث تقوم مكاتب المستر ميشيل .. تأكدوا من النظرة الأولى .. أن الظلام يخيم على المكان .. وأنه لا نور فى الداخل أبدًا .. كما لم يسمعوا صوتًا ولا حركة .

وقفوا حائرين ينصتون .

وكان (بوارو) قد جثا على الأرض تحت الباب ينصت فى هدوء وسكون .. ثم انتصب واقفًا وقد لمعت عيناه .. وأشار إلى أصدقائه ليتبعوه .. فساروا خلفه إلى الطابق الأرضى .. حيث نادى حارس البناية وقال له :

- يخيل إلى أنه يوجد شىء فى الطابق الأول .

فقال الرجل دهشًا :

- أين يا سيدى ؟

فقال بوارو :

- لا عليك من المكان .. خذ هذا المسدس .. ولا تدع أحدًا يغادر البناية رجلاً كان أم امرأة .. ريثما أتصل بالبوليس .

فقال الحارس :

- لست بحاجة إلى سلاح يا سيدى .. ولن يستطيع أحد الخروج مهما بلغ من قوة .

فقال بوارو :

- إن هركل نفسه يحتاج إلى المسدس حين يكون خصمه مسلحًا .. خذ المسدس واحتفظ به .. وأنت يا ميشنجهام ما رأيك .؟ إنى قد قررت الاتصال بسكوتلانديارد .. ثم نرى ما يكون بعد ذلك .

وهز اللورد رأسه موافقًا .. وقال فى حيرة :

- افعل ما تشاء .

وتقدم (بوارو) نحو التليفون ..

وفجأة تسمر فى مكانه ..

وكذلك فعل الباقون ..

فقد سمعوا جميعًا صوت جرس المصعد !!

وهتف بوارو قائلاً :

- من يريد مغادرة البناية فى مثل هذه الساعة ؟!

وقال حارس البناية :
- لست أدرى يا سيدى .

» » »

ونزل المصعد بعد قليل .

وظهرت الآنسة (آنا) وصيفة السيدة الروسية من خلفه .. تحمل شمسية .. وكلبًا صغيرًا فوق ساعديها .. وتقدمت نحو الباب تريد الخروج إلى الشارع .

ولكن بوارو وقف فى وجهها وهو يقول :

- آسف يا آنسة .. يستطيع كلبك الصغير الاستغناء عن هذه الرياضة الليلة .. لقد غادر البناية فى أثناء النهار .. فلا حاجة به إلى رياضة ثانية .

ونظرت إليه بعينين تلمعان غضبًا وقالت :

- من عادته أن يخرج أكثر من مرة فى الليلة الواحدة .. وقد تأخرت بسبب زيارتك لسيدتى .. ومن الواجب أن يخرج الكلب ويتريض قليلاً .

ولم يتحرك بوارو من مكانه وقال بصوت هادئ :

- إن الكلب علىكل حال ليس قضية مهمة .. وقد صدرت الأوامر بألا يغادر أحد البناية هذه الليلة حتى الانتهاء من قضية معينة .

وصاحت الفتاة غاضبة :

- من الذى يستطيع إصدار مثل هذه الأوامر ؟

وتقدمت تحاول الوصول إلى الباب .

وقال بوارو :

- لن يسمح لك يا آنسة بالخروج .. كما لن يسمح لك بالعودة إلى شقة السيدة الروسية .

ثم التفت إلى الحارس قائلاً :

- احتفظ بهذه السيدة الصغيرة .. ريثما ننتهى من مهمتنا .

وحاولت الفتاة أن تفتح فمها لتصرخ .. ولكن الحارس وضع يده على فمها .. وقادها إلى غرفة صغيرة قريبة .

» » »

تقدم عندئذ بوارو إلى التليفون وطلب سكوتلانديارد ..

وبعد لحظات تم الاتصال .. وأخذ يتحدث إلى صديقه المفتش مانيارد .. وكان المفتش قد عاد لتوه من مهمة خارج لندن فى طريقه إلى منزله .. حين اتصل به بوارو ..ودعاه إلى القدوم مع ثلاثة أو أربعة من رجال الشرطة إلى البناية التى يسكن فيها اللورد ميشينجهام .. مؤكدًا عليه أن الأمر خطير .

وكانت الفتاة فى هذه اللحظة لا تزال تحاول التحرر من قبضة الحارس . فصاح بها بوارو بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها:

- لن تحصلى على فائدة من كل هذه المحاولات التى تحاولينها يا آنسة .. لقد انتهت الحيلة .. ومن مصلحتك أن تتحدثى إلى بما تعرفين .. أين المستر كارتريت ؟

فصاحت به :

- ما الذى أعرفه أنا عن المستر كارتريت ؟

وهز بوارو كتفيه .. وأدار وجهه .. فألقت الفتاة عليه نظرة حقد وغضب .

« « «

وبعد ربع ساعة .. سمع الجميع صوت سيارة تقف أمام الباب .. وخرج منها مفتش البوليس مانيارد ومعه أربعة من رجال الشرطة .

وتقدم بوارو إلى صديقه المفتش حيث تحدث إليه مليًا بكلمات لم يسمعها الآخرون .. ثم سمعوا المفتش يقول :

- « ميشيل وولده » .. لقد وصلتنا معلومات عنه منذ أيام تقول إن مكاتبه فى الطابق الأول ..

فهز بوارو رأسه بالموافقة .. والتفت إلى الحارس يقول :

- ناول المفتش مفتاحك أيها الصديق .. ولك أن تترك الفتاة تذهب حيث تشاء .

وأخذ الجميع يصعدون إلى الطابق الأول حيث توجد المكاتب الخاصة .

وقال المفتش :

- الأفضل أن يبقى هؤلاء السادة فى أماكنهم .. فإذا كنت قد وقعت على أفراد العصابة كما أتوقع .. فأظن أنهم سوف يحاولون الدفاع عن أنفسهم إذا أحسوا بالخطر .. ولكن أحدًا من الموجودين لم يلق بالاً لتحذيره .. فأسرعوا خلفه .. حيث شاهدوا المفتش يفتح باب مكتب المستر ميشيل .. ويضغط على الزر الكهربائى القريب من الباب .. فيغمر الغرفة نور ساطع .

كانت غرفة النوم تستعمل للعرض كما بدا للجميع .. وقد نسقت فيها بعض التحف الشرقية والفراء النادر .. ولمع فى هذه اللحظة نور ما لبث أن انطفأ من المكتب المجاور .

وصاح بوارو يقول للمفتش مانيارد :

- أرسل اثنين من رجالك ليقفا أمام الباب العمومى .. ويمنعا أى شخص من مغادرة البناية .. لأنى أعتقد أن هناك منفذًا سريًا بين هذا المكتب والشقة التى تقوم فوقه .. وأخشى أن يحاول أحد من أفراد العصابة الهرب والاختفاء .

فأصدر المفتش أوامره إلى الآخرين من رجاله ليذهبا إلى باب البناية ويمنعا أى أحد من مغادرتها .

وتقدم المفتش نحو الباب الآخر الذى كانت تقوم خلفه المكاتب الرئيسية .. وفتحه .. فإذا الغرفة خالية .. إلا من شخص كان مقيدًا مربوطًا إلى مقعد فيها .

« « «

صاح الرجل المقيد يقول حين شاهد القادمين :

- لقد أحسنت يا بوارو .. ووصلت فى الوقت المناسب .. تعال اقطع هذه القيود التى تربطنى إلى الكرسى .

وأسرع أحد رجال البوليس إلى قطع القيود .

وتحرك كارتريت من مكانه وهو يقول مشيرًا إلى حبل يتدلى من الطابق الثانى إلى الأرض :

- إن هذا الحبل ينحدر من مطبخ السيدة الروسية .. وقد أتى بى خادم السيدة مع ميشيل إلى هذا المكان .. ولابد أنهما سيغادران المكان حالاً .. إذا عرفا بافتضاح أمرهما .

فقال بوارو مبتسمًا :

- لا عليك .. فقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة لمواجهة هذه المفاجآت .

والتفت كارتريت إلى اللورد قائلاً :

- وأنت يا صديقى .. كيف اخترت هذا المكان .. دون أن تعلم أن الشقة التى تحتك تسكنها عصابة من الجواسيس الروس !!

الفصل السادس

سر العصابة الروسية

في مساء اليوم التالى تناول هركيل بوارو طعامه عند أحد الوزراء .

وفى أثناء هذه الحفلة الخاصة التى أقامها الوزير على شرفه تحدث إليه الوزير بأسرار العصابة .. وما كانت تقوم به من الأعمال فقال :

- من الصعب علىَّ أن أعبر لك عن شكرى وشكر الوزارة للدور العظيم الذى قمت به .. ففضحت العصابة التى كانت تعيث فسادًا فى أسرارنا ومصالحنا .. ولا أكتمك أن كل رجالنا المسئولين كانوا فى الطريق الخاطئ .. لقد كنا نعلم بوجود هذه العصابة .. ولكن أحدًا منا لم يفطن إلى علاقة السيدة الروسية بها .. وأنها هى التى تشرف عليها وتديرها .. ويبدو لنا الآن .. وعلى ضوء المعلومات التى عثرنا عليها .. أنها حين استقرت فى لندن راحت تقدم للمسئولين فى موسكو كل المعلومات التى يطلبونها .. والتى مكنها مركزها .. واتصالها بأصحاب المقامات العالية .. من الوصول إليها ..

فسأله بوارو :

- ولكن ما علاقة (كارتريت) فى مثل هذه القضية .. ولماذا اختطفوه .. واحتفظوا به عندهم ؟

فقال الوزير :

- إن لكارتريت قصة خاصة ..وهى أن هناك سفينة روسية تحمل مليون جنيه من السبائك الذهبية فى طريقها إلى لندن .. وكان المندوب السوفيتى عندنا يعمل المستحيل ليعرف موقف الحكومة الإنجليزية من هذه الشحنة .. هل تسمح للسفينة بتفريغ سبائك الذهب أم تحاول حجزها ؟ وكان (كارتريت) الرجل الوحيد خارج الوزارة الذى يعرف رأى الحكومة الإنجليزية فى هذا الموضوع .. فأخذ رجال العصابة يراقبونه منذ أيام ويتتبعون خطواته .. حتى تمكنوا من القبض عليه .. واختطافه مساء البارحة فى منزل اللورد ميشينجهام .

» » »

وقال (كارتريت) الذى كان حاضرًا هذه الحفلة الخاصة يصف ما حدث له :

- لقد اتصل بى شخص بالتليفون فى منزل اللورد كما تعلم .. وأعطانى كلمة السر فى وزارة الخارجية .. التى تعنى ضرورة حضورى سريعًا إلى الوزارة .. وآمنت بصدور التعليمات من المسئولين فعلاً .. ونفذت ما أمرنى المتكلم أن أفعل .. وهو أن أغادر الشقة إلى شقة السيدة الروسية حيث يوجد شخص فى انتظارى ليخبرنى بما يجب أن أعمله .

وذهبت إلى شقة السيدة .. وفيما أنا أقبل يدها أحسست بالخادم ينقضّ من خلفى .. ثم غبت عن صوابى .

فلما عدت وجدت نفسى فى مكتب ميشيل .. وخلفى رجل يهددنى بمسدسه.. ويطلب منى المعلومات التى رفضت البوح بها.

وطال سؤالهم لى قرابة ساعة من الزمن .. ثم تركونى وشأنى على أن يعودوا إلىَّ ثانية .. بعد أن رفضت الإجابة عن أسئلتهم . ولابد أنهم كانوا على وشك تعذيبى لإجبارى على إفشاء السر الذى يريدون الوصول إليه .. ولكنكم وصلتم .. فى الوقت المناسب وقبل أن يحاولوا المحاولة للمرة الثانية .

» » »

وسأل بوارو الوزير :
- ما الذىقررتم عمله بشأن أفراد هذه العصابة ؟
فقال الوزير :
- إننا فى الواقع .. لا نريد إثارة المشاكل فى الوقت الحاضر مع الحكومة الروسية .. ولهذا قررنا طرد كل الأطراف المشتركة إلى خارج البلاد .. فالسيدة الروسية مثلاً غادرت لندن فعلاً هذا الصباح إلى فرنسا .. ولن تعود بعد اليوم إلى إنجلترا .
وكذلك تم ترحيل الخادم .. وميشيل وولده .. وبقية خدم السيدة إلى خارج البلاد .
وأخيرًا أريد أن أقدم لك شكرى وشكر الوزارة على هذه الخدمة العظيمة التى أديتها إلى الحكومة .. والتى لن تنساها الحكومة لك أبدًا .. ولا أكتمك فى الوقت نفسه .. أننا حظرنا على الصحف أن تنشر أى شىء عن هذه القضية .. واكتفينا بتسويتها على الطريقة الخاصة التى بسطتها لك .
والتفت (كارتريت) إلى بوارو وسأله :
- كيف عرفت أننى كنت فى منزل السيدة الروسية ؟
فأجابه بوارو ضاحكًا :
- من ورقة الاثنين الكوبا التى تركتها تحت الزهرية .

الســـــفـاح
العصابة الجهنمية

الفصل الأول

ذات ليلة من ليالى الشتاء القارصة البرد - والريح تهب بعنف من سفوح M جبال نيكولا L ذات القمم الشامخة المجللة بطبقات كثيفة من الثلج - كان السير آرثر كنجلى رئيس مباحث الحدود الشمالية الشرقية للهند يجلس إلى صديقه هركيل بوارو .. ولم يلبث السير آرثر أن اقترب بمقعده من المدفأة التى يجلسان حولها .. وحدق فى الجمر المتقد كأنه يرى فى اللهب المتوهج ما يعصف فى خلده .

وبعد فترة صمت قال لصديقه :

- إنى اليوم فى مسيس الحاجة إلى مساعدتك يا عزيزى بوارو .. فتطلع إليه بوارو فى تساؤل فاستطرد السير آرثر وقد ارتسمت على وجهه علامات الحزن والكآبة :

- لا شك أنك سمعت عن تلك العصابة الجهنمية التى ظهرت أخيرًا فى قرية ميرانباد .. لقد عجزنا تمامًا يا صديقى عن صد هجماتها الوحشية العنيفة .. ولقد تلقيت بالأمس برقية مثيرة خطيرة عن آخر جرائم تلك العصابة الرهيبة .

- ألديك جديد فى هذه المسألة ؟ لقد كنت .. بصراحة .. أعتبر نفسى فى إجازة فلم أتتبع باهتمام كل هذه الأنباء .

- سأحيطك علمًا بالتفاصيل .. إن قرية (ميرانباد) تقع فى سفوح « جبال نيكولا » كما تعلم .. وسكانها قبائل من الرعاة الذين يعيشون حيثما يوجد العشب والماء .. وقد حدث منذ أربعة شهور أن خرج واحد من القرويين ليرعى غنمه كالمعتاد ولكنه لم يعد .. وكم كان مؤلمًا عندما وجد فى صبيحة اليوم التالى مقتولاً بصورة مشوهة بشعة من تأثير ضربة حادة بآلة صلبة ..

ومنذ ذلك الوقت تسلط الرعب على قلوب أهل القرية جميعًا ففترت همتهم فى رعى الماشية .. لزموا دورهم .. وأكواخهم ولكن الجرائم رغم ذلك تعددت .. قفز رقم الضحايا إلى الثلاثة والعشرين قتيلاً بنفس الطريقة .. آلة حادة صلبة تهشم الرأس وتخلط اللحم بالعظم .. فاستنتجنا بالطبع أن القاتل واحد .. أو أن السلاح واحد على الأقل فى كل هاتيك الجرائم .. ومما يؤسف له حقًا أن التقارير لم تستطع التكهن بنوع السلاح الرهيب .

فسأله بوارو فى انفعال شديد :

- ولكن ما ملاحظاتك الخاصة عن هذه الحوادث ؟

- الواقع أننى حائر فليس هناك ما يدل إطلاقًا على أن «القاتل» يسعى إلى السرقة .. كما لا يمكن القتل أخذًا بالثأر فالضحايا فى تلك الحالات لم تفقد من جيوبها أو ملابسها شيئًا فضلاً عن أنهم وادعون مسالمون .. ومما يزيد القضية غموضًا فوق غموض أن الضحايا كانوا خليطًا من كل العائلات القروية فى «ميرانباد» كما أن أحدًا من تلك العائلات لم يستطع أن يقدم لنا دليلاً واحدًا نستطيع أن نمسك به أطراف قضيتنا .

وفضلاً عن ذلك فثمة ظاهرة عجيبة تتكرر دائمًا هى أن «القاتل» فى كل الحالات كان يمتطى جوادًا هائلاً .. وقد عرفنا ذلك من وجود آثار أقدام جواد حول جثة كل قتيل عثرنا عليه .. ولقد تحرينا وبحثنا فى الصحراء .. وفى الأحراش .. وعلى قمم الجبال وفى كل مكان .. ولكن بغير جدوى ..

» » »

وهنا طرق الباب بعنف .. ودخل جندى مبهور الأنفاس يصيح :
- سير آرثر .. إليك برقية عاجلة وصلتنا الآن .. لقد ارتكب « سفاح ميرانباد » جريمته الرابعة والعشرين .
فزفر « السير آرثر » زفرة حارة .. وقرأ البرقية بلهفة .. ثم ناولها لبوارو قائلاً :
- اقرأ يا عزيزى .. شخص آخر عثروا عليه قتيلاً .. مهشم الرأس .. نفس الطابع .

الفصل الثانى

السفّاح الرّهيب

وفى صباح اليوم التالى كان بوارو قد ذهب للعمل فتنكر فى زى أهالى M بسان L واصطحب خادمه هوارس الذى تنكر كذلك فى ملابس صياد فقير .. ثم مضيا قدمًا إلى المسرح الرهيب .. مسرح جرائم سفاح بيرانباد المخيف .

وكان الطريق مقفرًا .. موحشًا لا أثر للحياة فيه .. ولكنهما لم يحفلا بذلك .. بل سارا فى عزم وتصميم فوق الرمال التى تكسوها النباتات الشوكية الجافة .

« « «

جمد الرجلان مكانهما هنيهة .. ولكنهما لم يلبثا أن استعادا نشاطهما سريعًا فراحا يبحثان هنا وهناك بدقة .. وحذر .. واهتمام .. حتى عثرا أخيرًا على جثة الضحية الجديدة .

كان القتيل هذه المرة شابًا فى مقتبل العمر .. فترجل بوارو وخادمه من على جواديهما .. وركعا بجواره .

كانت جمجمة الشاب قد تهشمت بتلك الآلة الحادة المعهودة ولكنهما ما كادا يجسان نبضه حتى أشرقت عيونهما بالأمل .

كان بجسد الشاب بقية من الحياة فاغتبط بوارو لوصوله قبل فوات الأوان .. وبذل قصارى جهده لتضميد جراحه .. وتخفيف آلامه .

وعلى حين بغتة صرخ الخادم فى هلع قاتل .. وصاح بصوت مرتجف :

- انظر يا مستر بوارو .. إننى أرى شيئًا هائلاً يخترق حجب الظلام .. انظر .. انظر يا سيدى بحق السماء .. إنه جواد ضخم مخيف كأنه شيطان من شياطين الليل .. أو عملاق من عمالقة الأساطير .. آه لا شك أن القاتل يمتطيه الآن .. إنه يسرع نحو الشمال .

- فلنطارده على الفور يا هوارس .

- كيف نطارده فى هذا الظلام الدامس ؟! لننتظر إلى الغد .. إنى خائف .

- أيها الأحمق .. إننا رجلان مسلحان فمم تخاف ؟

« « «

وراحا يبحثان عن « سفاح ميرانباد » حتى غلبهما التعب فعادا ثانية إلى الشاب الجريح .. وتعاونا على حمله فوق جواد بوارو وقفلا به عائدين إلى القرية كى يسلماه لأهله .. ويعودا إلى استئناف البحث من جديد .

« « «

وفى صباح اليوم التالى ودع بوارو أهل قرية « ميرانباد » .. الذين أخذوا يباركون .. ويدعون له بالتوفيق .. ثم اصطحب خادمه .. ومضى يستعيد فى ذهنه قول الجريح عندما سأله عما رأى فأجاب فى رعب .. وهلع :

- لقد رأيت الشيطان .. إن ما رأيته كان « الشيطان » بالتأكيد .

« « «

ووصلا أخيرًا إلى المنطقة المشئومة .. ولاحت لهما آثار أقدام الجواد فتتبعاها .. فقادتهما إلى جبال وادى نيكولا .. وهناك ولجا منطقة صخرية تلاشت عندها آثار الحوافر .. فراح بوارو يدرس معالم الطريق .. ويتأمل المجرى المتعرج بين الجنادل والصخور والبركة التى يصب فيها .

وفجأة نبهته حواسه التى قلما تخطئ أن ثمة خطرًا يحدق بهما فتسلق فى الحال مرتفعًا كبيرًا .. وانبطح فوق قمته .. وإذ ذاك لمح شبحًا ضخمًا .. مخيفًا .. ظهر فجأة عند حافة الأخدود الذى يفصل القرية عن النهر فجمد فى مكانه لا يحير حراكًا وقد ركز كل اهتمامه فى عينيه ليكشف بهما كنه هذا الشبح الذى تقدم كالصخرة الهائلة إلى قلب الأخدود .

ومرت دقيقة .. ودقيقتان .. والشبح واقف فى مكانه كالتمثال يتطلع إليه بكل يقظة وانتباه .

وعلى حين فجأة نفذت أشعة القصر خلال الغيوم المتكاثفة فبددت حجب الظلام .. وسقطت على الشبح المجهول فأبانت معالمه .

وشد ما كانت دهشة بوارو عظيمة حين رأى جوادًا .. أسود اللون ضخمًا كأنه جبل من الفحم .. ولم يكن على صهوته فارس كما توقع بوارو .. ولم يكن عليه سرج أيضًا .. بل كان حرًا طليقًا متحررًا من كل قيد .

وتقدم الجواد العظيم خطوات .. ثم هرع يعدوا ركضًا إلى منطقة الصخور .. حيث كان ينتظر خادم بوارو مع الجوادين .

وشعر بوارو بالخطر يهدد خادمه فأسرع يهبط المرتفع وانطلق يجرى إلى حيث ذهب الجواد الهائل .

وسمع جلبة عالية .. وصهيل خيول جامحة .. ثائرة عرف فيها صهيل جواديه فجن جنونه .. وطار صوابه .. ومد بصره نحو خادمه فرأى منظرًا مخيفًا .

لقد فزع الجوادان لرؤية الجواد الغريب الضخم فانفلتا هاربين .. وألقيا بالخادم المسكين على الأرض .

وارتبك الشاب التعس لهول الموقف فأطلق بندقيته .. ولكن الجواد الوحشى لم يعبأ بطلقات الرصاص .. ولم يعتره الخوف أو التردد .. بل أسرع كالجبل الأشم نحو خادمه المذعور فصرخ كالمجنون يطلب النجدة من بوارو الذى يستخدم كل قوته فى الهبوط وهو يصر على أسنانه من فرط الحنق .

وقاوم الخادم هجوم الجواد ببسالة ريثما يخف بوارو لنجدته ولكن حينما وصل بوارو كانت المأساة قد وقعت تحت سمعه وبصره فقد غافل الجواد الوحشى الخادم ووقف على قائمتيه الخلفيتين .. ثم هوى بحافرى قدميه الأماميتين فى همجية حيوانية مفزعة على رأس الخادم المسكين فصرعه فى الحال وأرداه مجندلاً يتخبط فى دمه .

حدث هذا فى لمح البصر .. وكانت صدمة عنيفة لبوارو لم يكن يتوقعها فكاد يتخاذل .. ويتهاوى أمام وحشية الجواد العنيفة ولكنه تحامل على نفسه .. ودنا منه .. ثم أفرغ فى هيكله الكبير طلقات غدراته .. ولكن الوحش الرهيب انقض عليه قبل أن يلفظ آخر أنفاسه .. وعاجله بحافريه فأحس بوارو بأن ضلوعه تكاد تتحطم .. ولم يلبث أن غامت عيناه .. ودار رأسه .. وسقط فوق جثة خادمه مغشيًا عليه .

« « «

فى صباح اليوم التالى عثر رعاة قرية « ميرانباد » على رجلين ميتين وجثة جواد ضخم .. غير أنهم اكتشفوا أخيرًا أن أحد الرجلين يتحرك .. فأمعنوا البصر فيه .. وإذا هو هركيل بوارو .

وعندما استطاع أن يفتح عينيه من بين اللفائف والأربطة سمع صوت « السير آرثر » يهتف بفرح وسرور :

- شكرًا لله .. شكرًا لله .. ها أنت بخير وعافية يا بوارو .. ولكن عليك أن تعجل بمغادرة الفراش فأهل القرية فى شوق لأن يحتفلوا بك .. ويعبروا لك عن شكرهم العميق بعد أن قتلت أكبر سفاح يظهر فى ميرانباد .

فغمغم بوارو وهو يريح على الوسادة رأسه المحاط بالضمادات :

- كلا .. كلا .. لا داعى لذلك .. إن من يقدم معروفًا لا ينتظر عليه جزاء .